العدد (١٢) ربيع أول ١٤٣٠هـ مارس ٢٠٠٩م

الصوفية

إضاءة لتزكية النفس وتصحيح المسار

ملف المولد

- الاحتفال بالمولد ... شبهات وردود
- حفلة "المولد النبوي" وثقافة التقليد
- موالد مصر بين الجهل والاستغلال

ماذا يريد الليبراليون من ابن عربي ؟

كيف نحارب البدع في بيوتنا ؟

كرسي المشيخة.. وصراع الزهاد!

www.alsoufia.com

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد

الافتتاحية	رسالة إلى أهل بيت رسول الله ﷺ	٣
قالوا في التصوف	بيان أبي حيان الأندلسي لحال الصوفية في تفسيره البحر المحيط	٥
حوارات	مع الدكتور محمد عبدالمنعم البري	١٠
تحقيقات وتقارير	كرسي المشيخة.. وصراع الزهاد	١٤
مشكاة النصح	إيضاح التبار في قول الرفاعي حالنا يتفق مع التتار	١٩
ابحاث ومقالات	ماذا يريد الليبراليون من ابن عربي ؟	٢٣
	حياة برزخية يا معاشر الصوفية	٢٦
	مخالفة مصطلحات الصوفية للحقائق اللغوية والشرعية	٣٠
	حماية الدين من التصوف	٣٤
	كيف نحارب البدع في بيوتنا؟	٣٧
ملف المولد	الاحتفال بالموالد ... شبهات وردود	٤٠/٤١
	حفلة «المولد النبوي» وثقافة التقليد	٤٥
	موالد مصر ... بين الجهل والاستغلال	٤٧
متابعات	كتب حسين البربري	٥٥
	في مئوية الطريقة العلاوية	٥٦

الصوفية

مجلة شهرية
تصدر عن موقع الصوفية

الهيئة الاستشارية للمجلة :

د. عبد العزيز محمد آل عبد اللطيف
الشيخ/ عبد المجيد الريمي
أ.د / الأمين الحاج أحمد
الشيخ/ عبد الرحمن عبد الخالق

هيئة تحرير المجلة :

حسن بن علي البار
عبد الرحمن بن محمد الهرفي
محمد بن عبد الله المقدي

- ترحب المجلة بإسهامات الكتَّاب في شتى موضوعات التصوف.
- ترحب المجلة بتعقيبات القراء ومراجعاتهم حول ما ينشر في المجلة.

بريد التحرير :

a@alsoufia.com

تصميم Design SPOTS Graphics & Multimedia Services

الافتتاحية

رسالة إلى أهل بيت رسول الله ﷺ عن الاحتفال بالمولد النبوي

ومما يزيد هذا الاحتفال بعدا عن الهدي النبوي ما يحصل فيه من إطراء له صلى الله عليه وآله وسلم بما لم يأذن به.

الحمد لله رب العالمين، الهادي من شاء من عباده إلى صراطه المستقيم، والصلاة والسلام على أزكى البشرية المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن من الأصول العظيمة التي اجتمعت عليها قلوب أهل العلم والإيمان: الإيمان بأن هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أكمل الهدي وشريعته أتم الشرائع؛ يقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والإيمان بأن محبته دين يدين به المسلم؛ قال صلى الله عليه وآله وسلم: (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين**)، فهو عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد ولد آدم، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وخطيبهم إذا وفدوا، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، وصاحب لواء الحمد، وشفيع الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة والفضيلة، بعثه الله بأفضل الكتب، وشرع له أفضل الشرائع، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس؛ قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، ومن محبته صلى الله عليه وآله وسلم محبة آل بيته؛ قال صلى الله عليه وآله وسلم: (**أذكركم الله في أهل بيتي**) [رواه مسلم، (٦٣٧٨)].

فالواجب على آل بيته صلى الله عليه وآله وسلم أن يكونوا أعظم الناس اتباعًا لسنته، واقتداء بهديه، وعليهم أن يتمثلوا المحبة الحقَّة، وأن يكونوا أبعد الناس عن الهوى؛ إذ الشريعة جاءت على خلاف داعية الهوى، يقول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فالحب الحقيقي يستدعي الاتباع الصادق؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وليس مجرد الانتساب إليه صلى الله عليه وآله وسلم من جهة النسب كاف في أن يكون صاحبه موافقًا للحق في كل شأنه، لا يخطئه أو يحيد عنه.

وإن مما يؤلم من نوَّر الله بصيرته بنور العلم - هذه كأن فيها تزكية - وحشا قلبه لآل بيت نبيه بخالص الود خصوصًا، خاصة إن كان من أهل الدار من السلالة الشريفة، دخول بعض أبناء هذه البضعة الكريمة في أنواع من المخالفات الشرعية، وتعظيمهم لشعائر لم يأت بها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هذه الشعائر المعظمة على غير هدي جدنا صلوات الله وسلامه عليه: بدعة الاحتفال بالمولد النبوي بدعوى المحبة، وهذا يعد تحريفًا

لهذا الأصل العظيم لا يتفق مع مقاصد الشرع المطهر في جعل اتباعه ﷺ مدارًا يدور معه الناس في كل أحوالهم وعباداتهم؛ إذ محبته صلى الله عليه وآله وسلم توجب اتباعه ظاهرًا وباطنًا، ولا منافاة بين محبته واتباعه عليه السلام، بل إن اتباعه هو أساس محبته عليه الصلاة والسلام.

ومما يزيد هذا الاحتفال بعدًا عن الهدي النبوي ما يحصل فيه من إطراء له صلى الله عليه وآله وسلم بما لم يأذن به ولا يرضى هو ﷺ بمثله، وبعضه بُني على أحاديث باطلة أو اعتقادات فاسدة، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم التنفير من مثل هذه المبالغات غير الشرعية بقوله: (**لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**) [رواه البخاري، (٣٤٤٥)]، فكيف وقد تضمنت بعض هذه المجالس والمدائح الألفاظ البدعية والاستغاثات الشركية؟!

وهذا الاحتفال بمولده صلى الله عليه وآله وسلم، عمل لم يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يأمر به، ولم يفعله أحد من علماء آل البيت الكرام؛ كعلي بن أبي طالب، والحسنين، وعلي زين العابدين، وجعفر الصادق، ولم يفعله أصحاب نبينا صلى الله عليه وآله وسلم y جميعًا ولا أحد من التابعين ولا تابعيهم، ولا أئمة المذاهب الأربعة المتبوعين، ولا فعله أحد من أهل الإسلام خلال القرون المفضلة الأولى.

فإذا لم تكن هذه البدعة فما هي البدعة إذًا؟! فكيف إذا صاحبها الإنشاد بالدفوف وربما كان ذلك داخل المساجد أحيانًا، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك وشَبَهه قولًا فصلًا لا استثناء فيه: (**كل بدعة ضلالة**) [رواه مسلم، (٢٠٤٢)].

أيها السادة الكرام، يا خير نسل وجد على وجه الأرض، إن شرف الأصل والنسب تشريف يتبعه تكليف، هو أخذ بسنته صلى الله عليه وآله وسلم، وسعي لاستكمال أمانته من بعده بحفظ الدين، ونشر الدعوة إليه، وإن اتباع الرجال فيما لم يأذن به الشرع لا يغني من الحق شيئًا، وهو مردود على صاحبه؛ كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**) [متفق عليه، رواه البخاري، (٢٦٩٧)، ومسلم، (٤٥٨٩)].

فالله الله يا أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لا يغرنكم خطأ وضلال من أخطأ أو ضل أن تكونوا أئمة في غير الهدى، فوالله، ما على وجه الأرض أحد أحب إلينا هدايته منكم.

فهذه دعوة من قلوب محبة تريد الخير لكم، وتدعوكم إلى اتباع سنة جدكم بمفارقة هذه البدعة وسائر ما لا يعلم المرء يقينًا أنه من سنته ودينه، فالبدار البدار فـ(**من بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه**) [رواه مسلم، (٧٠٢٨)].

والحمد لله رب العالمين.

بيان أبي حيان الأندلسي لحال الصوفية في تفسيره البحر المحيط

جمعه : أبو إبراهيم عبدالرحمن أمجد

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، أما بعد:

فهذه نتف من حقائق عاشها إمام من أئمة التفسير مع بعض المتصوفة، أثبتها في تفسيره عند ذكر أقوالهم المخالفة لمنهج الحق، وما ذاك إلا لاعتمادهم على أصول باطلة، شابهت في حد كبير منهج الباطنية، ولهذا الأمر نجد في كثير من الأحيان من انتقد تأويلات الصوفية في التفسير، وألحقها بتأويلات الباطنية.

ويجد القارئ في هذه اللمحات من البحر المحيط البون الشاسع بين طريقة أبي حيان الأندلسي المتمثلة في العلم والبيان، وطريقة الصوفية المنبثقة من الذوق والوجدان، وشتان بين السبيلين.

أبو حيان الأندلسي (٦٥٤-٧٤٥هـ، ١٢٥٦-١٣٤٤م) هو:

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الإمام أثير الدين الأندلسي الغرناطي، النفزي، نسبة إلى نفزة قبيلة من البربر، نحوي عصره ولغوي زمانه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه.

مولده:

ولد بمطخشارس، مدينة من حاضرة غرناطة، وأخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطباع، والعربية عن أبي الحسن الأبذي وجماعة، وتقدم في النحو، وأقرأ في حياة شيوخه بالمغرب، وسمع الحديث بالأندلس وإفريقيا والإسكندرية ومصر والحجاز من نحو خمسين وأربعمائة شيخ، وأكب على طلب الحديث وأتقنه وبرع فيه، وفي التفسير والعربية والقراءات والأدب والتاريخ، واشتهر اسمه، وطار صيته، وأخذ عنه أكابر عصره.

قيل كان له إقبال على الطلبة الأذكياء، وعنده تعظيم لهم، وهو الذي جسر الناس على مصنفات ابن مالك، ورغبهم في قراءتها، وشرح لهم غامضها، وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب: هذه نحو الفقهاء، وتولى تدريس التفسير بالمنصورية، والإقراء بجامع الأقمر، وكانتعبارته فصيحة، ولكنه في غير القرآن عقد القاف قريبًا من الكاف.

من تصانيفه:

البحر المحيط في التفسير، ومختصره النهر، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، وارتشاف الضرب، وتعد هذه الكتب من أجمع الكتب وأحصاها في موضوعاتها، وقيل له كتب شرع في تأليفها، ولم يكملها منها: شرح الألفية، نهاية الإغراب في التصريف والإعراب، وغير هذه وتلك كثير مما صنف أبو حيان.

تفسير الصوفية لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾: [البقرة: ٢٨٢].

قال أبو حيان الأندلسي: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ إشارة إلى إحاطته تعالى بالمعلومات، فلا يشذ عنه منها شيء، وفيها إشعار بالمجازاة للفاسق والمتقي، وأعيد لفظ الله في هذه الجمل الثلاث على طريق تعظيم الأمر، جعلت كل جملة منها مستقلة بنفسها، لا تحتاج إلى ربط بالضمير، بل اكتفى فيها بربط حرف العطف، وليست في معنى واحد، فالأولى: حث على التقوى، والثانية: تذكر بالنعم، والثالثة: تتضمن الوعد والوعيد.

بيان أبي حيان الأندلسي لحال الصوفية في تفسيره البحر المحيط

وقيل: معنى الآية الوعد، فإن من اتقى علمه الله، وكثيرًا ما يتمثل بهذه بعض المتطوعة من الصوفية، الذين يتجافون عن الاشتغال بعلوم الشريعة من الفقه وغيره، إذا ذكر له العلم والاشتغال به، قالوا: قال الله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾، ومن أين تعرف التقوى؟ وهل تعرف إلا بالعلم؟[1].

منشأ عقيدة: «تفضيل الولي على النبي» عند الصوفية:

٢. عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[آل عمران: ٦١].

قال أبو حيان الأندلسي: ومن أغرب الاستدلال ما استدل به من الآية محمد بن علي الحمصي، وكان متكلمًا على طريق الاثنا عشرية

(١) تفسير البحر المحيط، (٣/ ١١١).

أي الشيعة الإمامية، ثم ذكر طريقة استدلاله الفاسدة والرد عليها ـ ثم قال: وهذه النزعة التي ذهب إليها هذا الحمصي من كون علي ﷺ

أفضل من الأنبياء عليهم السلام سوى محمد ﷺ، وتلقفها بعض من ينتحل كلام الصوفية، ووسع المجال فيها، فزعم أن الولي أفضل من النبي، ولم يقصر ذلك على ولي واحد، كما قصر ذلك الحمصي، بل زعم: أن رتبة الولاية التي لا نبوة معها أفضل من رتبة النبوة، قال: "لأن الولي يأخذ عن الله بغير واسطة، والنبي يأخذ عن الله بواسطة، ومن أخذ بلا واسطة أفضل ممن أخذ بواسطة".

وهذه المقالة مخالفة لمقالات أهل الإسلام، نعوذ بالله من ذلك، ولا أحد أكذب ممن يدعي أن الولي يأخذ عن الله بغير واسطة، إن المؤمن ليقشعر من سماع هذا الافتراء، وحكى لي من لا أتهمه عن بعض المنتمين إلى أنه من أهل الصلاح، أنه رؤي في يده كتاب ينظر فيه، فسئل عنه، فقال: "فيه ما أخذته عن رسول الله، وفيه ما أخذته عن الله شفاهة أو شافهني به "، الشك من السامع، فانظر إلى جراءة هذا الكاذب على الله؛ حيث ادعى مقام من كلمة الله: كموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء؟اهـ[2].

(٢) تفسير البحر المحيط، (٣/ ٢٦٢).

وصف دقيق لحال الصوفية:

٣. عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

قال أبو حيان الأندلسي: وقال الزمخشري [المعتزلي]: «وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله، وأمقتهم للشرع، وأسوأهم طريقة، وإن كانت طريقته عند أمثاله من السفهاء والجهلة شيئًا، وهم: الفرقة المنفعلة والمتفعلة من الصوف، وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله، وفي مراقصهم عطلها الله، بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء الله، وصعقاتهم التي تشبه صعقة موسى عند دك الطور، فتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ومن كلماته: كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته، فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات، ومنها الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة، فإذا لم يكن ذلك لم يكن فيه حقيقة، انتهى كلام الزمخشري رحمه الله تعالى»[3].

وقال بعض المعاصرين: قد عظم أمر هؤلاء المنفعلة عند العامة، وكثر القول فيهم بالحلول والوحدة، وسر الحروف، وتفسير القرآن على طريق القرامطة الكفار الباطنية، وادعاء أعظم الخوارق لأفسق الفساق، وبغضهم في العلم وأهله[4].

منع بعض الصوفية دعاء الله في أمور الدنيا مخالفين بذلك إجماع علماء الأمصار:

٤. عند تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٢-١٩٤].

قال أبو حيان الأندلسي: وتكرر لفظ ربنا خمس مرات، كل ذلك على سبيل الاستعطاف، وتطلب رحمة الله تعالى بندائه بهذا الاسم الشريف، الدال على التربية والملك والإصلاح، وكذلك تكرر هذا الاسم في قصة آدم ونوح وغيرهما، وفي تكرار ربنا ربنا دلالة على جواز الإلحاح في المسألة، واعتماد كثرة الطلب من الله تعالى.

(٣) الكشاف، الزمخشري، (٢/ ٣٧).
(٤) تفسير البحر المحيط، (٤/ ٤٥٩).

بيان أبي حيان الأندلسي لحال الصوفية في تفسيره البحر المحيط

وفي الحديث: (**ألظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام**)(٥)، وقال الحسن: ما زالوا يقولون: ربنا ربنا حتى استجاب لهم، وهذه مسألة أجمع عليها علماء الأمصار خلافًا لبعض الصوفية؛ إذ أجاز ذلك فيما يتعلق بالآخرة لا بالدنيا، ولبعض المتصوفة أيضًا إذ قال: الله تعالى تولى من اتبع الأمر واجتنب النهي وارتفع عنه كلف طلباته ودعائه(٦).

عقيدة الحلولية والاتحادية عند غلاة الصوفية مأخوذة من دين النصارى:

٥. عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٧].

ذكر أبو حيان الأندلسي أقوال النصارى في عيسى بن مريم عليه السلام، ثم قال: ومن بعض اعتقادات النصارى استنبط من تستر بالإسلام ظاهرًا، وانتمى إلى الصوفية حلول الله تعالى في الصور الجميلة، ومن ذهب من ملاحدتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة: كالحلاج، والشوذي، وابن أحلى، وابن عربي المقيم كان بدمشق، وابن الفارض.

وأتباع هؤلاء كابن سبعين، والتستري تلميذه، وابن مطرف المقيم بمرسية، والصفار المقتول بغرناطة، وابن اللباج، وأبو الحسن المقيم كان بلورقة، وممن رأيناه يرمى بهذا المذهب الملعون العفيف التلمساني وله في ذلك أشعار كثيرة، وابن عياش المالقي الأسود الأقطع المقيم كان بدمشق، وعبدالواحد بن المؤخر المقيم كان بصعيد مصر، والأيكي العجمي الذي كان تولى المشيخة بخانقاه سعيد السعداء بالقاهر من ديار مصر، وأبو يعقوب بن مبشر تلميذ التستري المقيم كان بحارة زويلة.

وإنما سردت أسماء هؤلاء نصحًا لدين الله ـ يعلم الله ذلك ـ وشفقة على ضعفاء المسلمين وليحذروا، فهم أشر من الفلاسفة الذين يكذبون الله تعالى ورسله، ويقولون بقدم العالم وينكرون البعث.

وقد أولع جهلة ممن ينتمي للتصوف بتعظيم هؤلاء، وادعائهم أنهم صفوة الله وأولياؤه، والرد على النصارى والحلولية والقائلين بالوحدة هو من علم أصول الدين اهـ(٧).

تفريق الصوفية بين الحقيقة والشريعة ليس من كلام السلف:

٦. عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٢٠].

قال أبو حيان الأندلسي: «وقال أيضًا [أي: أبو عبدالله الرازي]: مفتتح السورة، كان بذكر العهد المنعقد بين الربوبية والعبودية، فيشرع العبد في العبودية، وينتهي إلى الفناء المحض عن نفسه بالكلية، فالأول هو الشريعة وهو البداية، والآخر هو الحقيقة وهو النهاية، فمفتتح السورة من الشريعة ومختتمها بذكر الله ﷻ وكبريائه تعالى وعزته وقهره وعلوه، وذلك هو الوصول إلى مقام الحقيقة، فما أحسن المناسبة بين ذلك المفتتح وهذا المختتم؛ انتهى كلامه.

وليست الحقيقة والشريعة والتمييز بينهما لا من كلام الصحابة رضي الله عنهم ولا من كلام التابعين، وإنما ذلك من ألفاظ الصوفية واصطلاحاتهم، ولهم في ذلك كلام طويل والله أعلم بالصواب"(٨).

٧. عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

قال أبو حيان الأندلسي: «الضمير عائد على اليهود والنصارى، قال حذيفة: لم يعبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فأحلوه، وحرموا عليهم الحلال فحرموه، وقد جاء هذا مرفوعًا في الترمذي إلى الرسول ﷺ من حديث عدي بن حاتم، وقيل: كانوا يسجدون لهم كما يسجدون لله، والسجود لا يكون إلا لله، فأطلق عليهم ذلك مجازًا.

وقيل: علم سبحانه أنهم يعتقدون الحلول، وأنه سبحانه تجلى في بواطنهم فيسجدون له معتقدين أنه لله، الذي حل فيهم وتجلى في سرائرهم، فهؤلاء اتخذوهم أربابًا حقيقة، ومذهب الحلول فشا في هذه الأمة كثيرًا، وقالوا بالاتحاد، وأكثر ما فشا في مشايخ الصوفية والفقراء في وقتنا هذا، وقد رأيت منهم جماعة يزعمون أنهم أكابر.

وحكى أبو عبدالله الرازي أنه كان فاشيًا في زمانه، حكاه في تفسيره عن بعض المروزيين كان يقول لأصحابه: أنتم عبيدي، وإذا خلا

(٥) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه، (٣٨٦٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٣٥٢٥).
(٦) تفسير البحر المحيط، (٣/ ٤٩٧).
(٧) المصدر نفسه، (٤/ ٣٨٥).
(٨) المصدر نفسه، (٥/ ٦٩).

بيان أبي حيان الأندلسي لحال الصوفية في تفسيره البحر المحيط

ببعض الحمقى من أتباعه ادعى الإلهية، وإذا كان هذا مشاهدًا في هذه الأمة، فكيف يبعد ثبوته في الأمم السابقة.

وقد صنف شيخنا المحدث المتصوف قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن القسطلاني كتابًا في هذه الطائفة، فذكر فيهم الحسين بن منصور الحلاج، وأبا عبدالله الشوذي كان بتلمسان، وإبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهان عرف بابن المرأة، وأبا عبدالله بن أحلى المتأمر بلورقة، وأبا عبدالله بن العربي الطائي، وعمر بن علي بن الفارض، وعبدالحق بن سبعين، وأبا الحسن الششتري من أصحابه، وابن مطرف الأعمى من أصحاب ابن أحلى، والصفيفير من أصحابه أيضًا، والعفيف التلمساني.

وذكر في كتابه من أحوالهم وكلامهم وأشعارهم ما يدل على هذا المذهب، وقتل السلطان أبو عبدالله بن الأحمر ملك الأندلس الصفيفير بغرناطة وأنابها، وقد رأيت العفيف الكوفي وأنشدني من شعره، وكان يتكتم هذا المذهب، وكان أبو عبدالله الأيكي شيخ خانكاه سعيد السعداء مخالطًا له خلطة كثيرة، وكان متهمًا بهذا المذهب، وخرج التلمساني من القاهرة هاربًا إلى الشام من القتل على الزندقة، وأما ملوك العبيديين بالمغرب ومصر؛ فإن أتباعهم يعتقدون فيهم الإلهية، وأولهم عبيد الله المتلقب بالمهدي، وآخرهم سليمان المتلقب بالعاضد.

والأحبار علماء اليهود، والرهبان عباد النصارى الذين زهدوا في الدنيا، وانقطعوا عن الخلق في الصوامع، أخبر عن المجموع، وعاد كل ما يناسبه، أي: اتخذ اليهود أحبارهم، والنصارى رهبانهم»[٩].

تعريف الولي والتحذير من مذهب الصوفية وبعض الملحدين فيه:

٨. عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

قال أبو حيان الأندلسي: «قال ابن عطية: وهذه الآية يعطي ظاهرها أن من آمن واتقى فهو داخل في أولياء الله، وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي، وإنما نبهنا هذا التنبيه حذرًا من مذهب الصوفية وبعض الملحدين في الولي، وإنما قال: حذرًا من مذهب الصوفية لأن بعضهم نقل عنه أن الولي أفضل من النبي، وهذا لا يكاد يخطر في قلب مسلم، ولابن عربي الطائي كلام في الولي وفي غيره نعوذ بالله منه»[١٠].

بدعة التفسير الباطني عند غلاة الصوفية:

٩. عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠] قال أبو حيان الأندلسي: "وقيل: ﴿مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ بحر ملح وبحر عذب، فيكون الخضر على هذا عند موقع نهر عظيم في البحر، وقالت فرقة: البحران كناية عن موسى والخضر

لأنهما بحرا علم، وهذا شبيه بتفسير الباطنية وغلاة الصوفية، والأحاديث تدل على أنهما بحرا ماء.

وقال الزمخشري: من بدع التفاسير أن البحرين موسى والخضر، لأنهما كانا بحرين في العلم»[١١].

افتخار أولاد مشايخ الزوايا الصوفية بآبائهم هو من تفاخر الجاهلية:

١٠. عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال أبو حيان الأندلسي: ودعوى التفاضل، وهي التقوى، وفي خطبته عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة: (**فالناس رجلان، مؤمن تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله**)[١٢]، ثم قرأ الآية، وعنه ﷺ: (**من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله**)[١٣]، وما زال التفاخر بالأنساب في الجاهلية والإسلام، وبالبلاد وبالمذاهب وبالعلوم وبالصنائع، وأكثره بالأنساب:

وأعجب شيء إلى عاقل ... فروع عن المجد مستأخره
إذا سئلوا ما لهم من علا ... أشاروا إلى أعظم ناخره

ومن ذلك: افتخار أولاد مشايخ الزوايا الصوفية بآبائهم، واحترام الناس لهم بذلك وتعظيمهم لهم، وإن كان الأولاد بخلاف الآباء في الدين والصلاح[١٤].

(٩) المصدر نفسه، (٦/ ١٤٦).

(١٠) المصدر نفسه، (٦/ ١٤٦).

(١١) المصدر نفسه، (٦/ ٣٣٣).

(١٢) المصدر نفسه، (٧/ ٤٧٠).

(١٣) رواه الترمذي ،كتاب تفسير القرآن ،باب ومن سورة الحجرات، ،(٣٥٨١)وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.(٣٢٧٠) ،

(١٤) رواه أحمد في مسنده، (١٧٢٦)، والمعافى بن عمران الموصلي في زهده، (١٣١)، وقال الهيثمي (٨/ ٥٩): فيه هشام بن زياد أبو المقدام، وهو متروك، والعقيلي (٤/ ٣٤٠)، ترجمة ١٩٤٦ هشام بن زياد بن سعدويه، وقال: ليس لهذا الحديث طريق يثبت.

بيان أبي حيان الأندلسي لحال الصوفية في تفسيره البحر المحيط

عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ إنما هو للعوام:

١١. عند عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥].

ذكر أبو حيان الأندلسي اختلاف العلماء في تفسير الروح في الآية، وبدأ بقول الجمهور أنها: الروح التي في الحيوان وهو اسم جنس وهو الظاهر، ورجحه فقال: والصحيح من هذه الأقوال القول الأول، والظاهر أنهم سألوا عن ماهيتها وحقيقتها، وقيل: عن كيفية مداخلتها الجسد الحيواني، وانبعاثها فيه وصورة ملابستها له، وكلاهما مشكل لا يعلمه قبل إلا الله، وقد رأيت كتابًا يترجم بكتاب «النفخة والتسوية» لبعض الفقهاء المتصوفة، يذكر فيها أن الجواب في قوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾، إنما هو للعوام، وأما الخواص فهم عنده يعرفون الروح[١٥].

(١٥) تفسير البحر المحيط، (١٠/ ١١٦).

في التفسير الباطني المسمى:

«الحقائق» عند غلاة الصوفية ما لا يحل كتابته فضلًا عن اعتقاده:

١٢. عند عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾ [التكوير: ١-٣].

قال أبو حيان الأندلسي: قال ابن عطية: وذهب قوم إلى أن هذه الأشياء المذكورة استعارات في كل ابن آدم، وأحواله عند

الموت؛ فالشمس نفسه، والنجوم عيناه وحواسه، وهذا قول ذاهب إلى إثبات الرموز في كتاب الله تعالى.

وهذا مذهب الباطنية، ومذاهب من ينتمي إلى الإسلام من غلاة الصوفية، وقد أشرنا إليهم في خطبة هذا الكتاب؛ وإنما هؤلاء زنادقة تسترو بالانتماء إلى ملة الإسلام، وكتاب الله جاء بلسان عربي مبين، لا رمز فيه ولا لغز ولا باطن، ولا إيماء لشيء مما تنتحله الفلاسفة ولا أهل الطبائع، ولقد ضمن تفسيره أبو عبدالله الرازي المعروف بابن خطيب الري أشياء مما قاله الحكماء عنده وأصحاب النجوم وأصحاب الهيئة، وذلك كله بمعزل عن تفسير كتاب الله ﷻ.

وكذلك ما ذكره صاحب التحرير والتحبير في آخر ما يفسره من الآيات من كلام من ينتمي إلى الصوف ويسميها الحقائق، وفيها ما لا يحل كتابته، فضلا عن أن يعتقد، نسأل الله تعالى السلامة في ديننا وعقائدنا، وما به قوام ديننا ودنيانا[١٦].

١٣. **وعند عند تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾** [الرعد: ١٢-١٣].

نقل أبو حيان الأندلسي عن الزمخشري قوله: ومن بدع المتصوفة: الرعد صعقات الملائكة، والبرق زفرات أفئدتهم، والمطر بكاؤهم[١٧].

١٤. **وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ٤١ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ﴾** [يس: ٤١-٤٢].

ذكر أبو حيان الأندلسي أقوال العلماء في تفسير هذه الآية، ثم قال: «وقيل: الذرية: النطف، والفلك المشحون: بطون النساء، ذكره الماوردي، ونسب إلى علي بن أبي طالب، وهذا لا يصح، لأنه من نوع تفسير الباطنية وغلاة المتصوفة، الذين يفسرون كتاب الله على شيء لا يدل عليه اللفظ بجهة من جهات الدلالة، يحرفون الكلم عن مواضعة، ويدل على أنه أريد ظاهر الفلك قوله: ﴿وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ﴾: يعني الإبل والخيل والبغال والحمير، والمماثلة في أنه مركوب مبلغ للأوطان فقط»[١٨].

(١٦) المصدر نفسه، (٧/ ٣٩٣).
(١٧) المصدر نفسه، (١٠/ ٤٤٠).
(١٨) المصدر نفسه، (٧/ ٩٦).

حوارات

في حواره مع مجلة الصوفية:

الدكتور محمد عبدالمنعم البري

الخلافات بين قادة الطرق الصوفية في مصر منبعها الثروات والنذور الشركية

مقدمة:

أكد الدكتور محمد عبدالمنعم الأستاذ بجامعة الأزهر ورئيس جبهة علماء الأزهر سابقًا، في حوار خاص مع مجلة "الصوفية"، أن هناك بونًا شاسعًا بين الصوفية السابقين، وبين الصوفية المعاصرين لنا في الوقت الحاضر؛ إذ أن السابقين كانوا يخلصون كل أعمالهم لله ﷻ، في حين أن زعماء الصوفية الآن يتشاجرون ويتناطحون من أجل الكراسي وبعض المكاسب المادية.

وأوضح فضيلته أن ادعاء المتصوفة بصحة منهجهم استنادًا إلى أن أعضاء الطرق الصوفية في مصر بالملايين إدعاء باطل؛ فالأكثرية لا تعني التزكية، بل على العكس من ذلك، فقد ذمها الله ﷻ في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، مشيرًا إلى أن التصوف الحقيقي يعني النزاهة والسماحة، وتطليق الدنيا والانشغال بالله ﷻ، فضلًا عن الاهتمام بأمر المسلمين، وكان هذا هو حوارنا معه:

التعريف بالشيخ:

أ.د. محمد عبدالمنعم البري.

أستاذ دكتور بكلية الدعوة الإسلامية، عضو اللجنة الدائمة لترقية الأساتذة بالأزهر.

مكان الميلاد: القليوبية ـ مصر.

تاريخ الميلاد: ١٣/ ٤/ ١٩٣٥م.

كلية التخرج: أصول الدين ١٩٦٣م.

جامعة التخرج: جامعه الأزهر.

التخصص العام: دعوة إسلامية.

التخصص الدقيق: ثقافة إسلامية.

المشاركات والخبرات العلمية:

- زائر في جامعة أم دومان الإسلامية.
- أستاذ بجامعة الإمارات، ومحاضر المسجد الحرام للأعوام (١٩٧١ - ١٩٩٧)م.
- وله عدة مؤتمرات ومشاركات في الجاليات الإسلامية في أمريكا وأوروبا.

النتاج العلمي:

له أكثر من ١٥ مؤلفًا، وآخرها: "الجذور اليهودية للشيعة"، ومنها: "الشيعة الاثنا عشرية في دائرة الضوء، مناهل الدعوة وطلائع أعلامها"، "الشباب المسلم والقيادة الفكرية"، "البهائية والبابية في ميزان الإسلام"، "أهمية التنسيق في مجال الدعوة الإسلامية"، "نوادر علل الشرائع"، "الصراع بين الحق والباطل كما تصوره سورة يوسف"، ١٩٦٩م، [رسالة ماجستير]، "المنافقون وموقفهم من الدعوة الإسلامية"، ١٩٨٧م، [رسالة دكتوراة].

الحوار:

س: ما الدور المنوط بجبهة علماء الأزهر لمواجهة البدع وأهلها، وما الجهود التي تقوم بها الجبهة في هذا الصدد؟

ج: في البداية أؤكد أن البدع في عداء للدين وللميراث النبوي الشريف بصورة سافرة، ويتضح ذلك بشكل كبير في سلوك مدعي التعبد ومحترفي المظهريات الكاذبة ... وفي هذا السياق أتذكر من طريف ما أحفظ قول الشاعر:

ذئب أراه مصليًا فإذا ما مررت به ركع
يدعو وجُل دعاؤه ما للفريسة لا تقع
عجل بها يا ربنا إن الفؤاد قد انصدع
قالوا سكرنا بحب الإله وما أسكر القوم إلا القصع

فهنا يتبين الفارق الشاسع والبون البعيد بين الصفاء النفسي والنزاهة والبعد عن الانشغال بالمتع الفانية، ثم التعويض بما عند الله ﷻ للذين يعتزون بما عنده، ويتجردون من كل شيء في الدنيا إلا دينهم وما ورثوه عن المصطفى ﷺ... فهذه المعاني قلما تجد من يحرص عليها، لكننا مع ذلك لا نقطع الأمل ولا نقطع الرجاء في أن هناك من الصادقين الشرفاء من يحتسبون عملهم عند الله، ويتنزهون عن الاشتغال والانشغال بدنياهم أو بدنيا غيرهم.

أما فيما يخص دور الجبهة في محاربة هذه البدع؛ فإن جهد الدعوة ينحصر في إيقاظ العزائم نحو الميراث النبوي الشريف، الثابت من خلال كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإحياء هذه المعالم والمعاني والتشبث بها وشحذ العزائم لرفع لوائها ورواياتها هو مما يحارب البدع ويقتلها، والله ﷻ يقول: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧]، والنفع هنا في الدنيا والآخرة؛ لهذا فإنني أسأل الله أن يثبت القلوب، وأن يبارك جهود العلماء والمنصفين الأمناء على ميراث النبوة، وشريعة القرآن الخالد، كما أسأله أن يشد من عزمهم ومن إرادتهم وصدق نياتهم.

س: يكثر مشايخ وزعماء الطرق الصوفية من الحديث عن تزايد الإقبال على التصوف، مدعين أن الأرقام تشير إلى أن عدد الصوفية يقتربون من ١١ مليون صوفي ... ما مدى مصداقية هذا الكلام؟

ج: الأكثرية الساحقة لا تعتبر تزكية؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[الأنعام: ١١٦]، ونجد في المصحف الكثير من الآيات التي تذم الأكثرية؛ فيقول الله تعالى: ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٣]، و﴿ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الرعد: ١]، و﴿ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥]، و﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣].

فأهل الصفاء، وأهل التوحيد الخالص والنيات الصادقة، وأهل العزائم المحتسبة الذين يحتسبون همتهم لله قلة، وليسوا من أهل الأرقام الكثيرة والأعداد الغفيرة، فمعظم الناس للأسف بعيدون كل البعد عن جوهر الميراث النبوي، وجوهر القرآن، وهدي النبي ﷺ، وإلا فحدثني بربك حينما تدخل وتشاهد ضريحًا وعليه عمامة كبيرة وأناس كثيرون يطوفون حوله، ألا يأخذك الحزن والأسى على هؤلاء الناس إشفاقًا عليهم؛ لأنهم ضيعوا أعمارهم وصفقاتهم بوارًا وخسارًا وضياعًا وحرمانًا في الدنيا والآخرة؟!

كذلك إننا لا يمكن أن نأخذ قولهم بأنه يوجد ١١ مليون صوفي في مصر وحدها على اعتبار صحته، فهو مجرد إدعاء وليس حقيقة، في حين لا يمكننا أيضًا أن ننكر أن حالة من اليقظة والوعي جعلت الناس - لا سيما صفوة الشباب - يسيرون على الطريق السوي والصراط المستقيم، بعيدًا عن هذه البدع، وجهود العلماء والدعاة إلى الله تعالى لا تنكر في هذا الشأن.

س: وصلت حالة التنازع داخل مشيخة الطرق الصوفية في مصر إلى ما يشبه البرميل المليء بالبنزين المنتظر الاشتعال، على حد تشبيه محمد الشهاوي رئيس اللجنة المؤقتة للمشيخة ... في نظركم ما مغزى هذا الخلاف ودوافعه؟ وهل يعد هذا افتضاح لأمر الصوفية، الذين يتظاهرون بالإعراض عن الحياة الدنيا؟

ج: فيما يخص الطرق الصوفية الجديدة، فإنه وللأسف الشديد يوجد طرق على ضلال تصرح دون حياء ودون خجل، وتقول بلسان الحال لا بلسان المقال: إن لله شركاء، وأنه ليس وحده الذي يتصرف في الكون، وأنهم يعلمون الغيب ... وهو قول يتشابه في كثير منه مع أقوال أكثر من مائة طائفة شيعية، ومنها مثلا: الإمامية الجعفرية الاثنا عشرية، الذين يقولون إن علي بن أبي طالب وأولاده يعلمون ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، وهذا بالطبع ضلال.

كذلك نجد أن معظم الطرق الصوفية يعتقدون أن الخليفة - رأس الطريقة - إذا منح أحد رضاه يسعد، أما إذا غضب عليه يتعس، وهذه شركيات لاشك في ذلك، وهي لا تنتشر إلا في البيئات الجاهلة البعيدة، فإذا وجدت جفاء للدين وتنكر للعلم والعلماء؛ فتوقع ما شئت من الجهالات والتخبط، والبعد عن الدين والكتاب والسنة.

س: لكن ما مغزى الخلاف فيما بين زعماء الصوفية؟

ج: مغزاه حول الثروات وما يكتنز من ثروات، وهو يشبه إلى حد كبير ما لدى الشيعة، مثل نظام الخمس، وأذكر - خلال وجودي بالإمارات - خبرًا يقول: إن أحد الناس حفر حفرة في بيته يضع فيها الذهب والتحف والنفائس والجواهر، فلما قيل له: لماذا تفعل ذلك؟ قال: لكي يجد الوهم المنتظر "الإمام المنتظر عند الشيعة" ميزانية لديه عند خروجه، وهو أمر بالطبع يثير الضحك، فإذا كان الوهم مبعوثًا من عند الله، فهل يحتاج إلى المخلوقات؟! إن هذا دليل على الغباء والبعد والجفاء للدين.

س: يتمسح الكثير من أهل التصوف بما ورد في كتب السلف من إشادة برجال التصوف السني الأول؛ كالجنيد والحسن البصري، مدعين بأنهم يسيرون على نفس النهج، كيف يمكن التعاطي مع هذا الأمر؟

ج: لقد شارك مع النبي ﷺ في حجة الوداع حوالي ١١٤ ألف حاج، وهو عدد ليس بالقليل، وكما هو معلوم فإن كل مؤمن يرى النبي ﷺ يأخذ شرف الصحبة، فهؤلاء إذًا ثروة كبيرة، فهل نتركها ونذهب للأضرحة وما إلى ذلك؟ وهل نستغني عن هذه الثروة وآثار هؤلاء الصحابة، فضلا عن آثار التابعين وتابعيهم؟ وقد زكاهم النبي ﷺ: **(خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)**[1].

(١) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، (٣٦٥١)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، (٦٦٣٥).

لقد كان من المفترض على من يحمل اسم التصوف أن يحمل معانيه؛ من النزاهة والعفاف، والبعد عن الشهوات والانحرافات والمطامع الدنيوية، لكنهم وللأسف قد تحولوا إلى فرسان يتخاصمون ويتكابرون ويتناطحون، وهذه مصيبة ورب الكعبة، لابد أن نفطن لها، فإذا كانوا يريدون أن يكونوا كما كان الصوفية الأوائل؛ فعليهم أن يسلكوا سلوكهم، وليعلم هؤلاء أن أعظم إنقاذ لخير أمة أخرجت للناس إنما يكون على يد القيادة المؤمنة، فإذا وجدت القيادة المؤمنة استجابت الأمة فورًا، وقد قالوا: (عمل رجل في ألف رجل أبلغ أثرًا من قول ألف رجل في رجل).

س: وماذا عن ادعائهم بأنهم يتبعون منهج الصوفية الكبار كالجنيد والبصري؟

ج: التصوف القديم يعني التنزه عن الدنيا، وقد سئل أحد تلاميذ المصطفى الأول مرة، لقد رأيناك تلف العصابة على رأسك وتلقي بنفسك بين الجنود ـ الأعداء ـ وقد عدت لنا سالما، فقال: أي يومي من الموت أفر؟ أيوم لا يُقدر أم يوم قدر؟[٢] يقصد بذلك أن كل يوم تشرق شمسه مكتوب فيه إما أن تموت أو السلامة، فهذا هو التصوف القديم، فهو نزاهة وسماحة وتطليق للدنيا، أما أن يدعي أحد ويقول أنا متصوف، ثم نراهم يتشاجرون على الكراسي والمواريث؛ فهذه صورة لا يصدقها إلا مغفل، ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٢].

س: يحاول البعض من المتصوفة أن يبرر توجهه بأن التصوف تنفيذًا لأمر الرسول ﷺ، الذي حث على الابتعاد عن الناس في الفتن في آخر الزمان، ما تعليقكم؟

الانعزال والانكفاء على إصلاح الذات هي من الرهبنة، وهذه فكرة نصرانية، فلا رهبانية في الإسلام؛ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [الحديد: ٢٧]؛ لهذا فإنه كلما أتيح أمامي متنفس لقول كلمة حق وتبليغ موعظة وتقويم الشباب؛ فلابد أن أستثمر الفرصة؛ لأني وريث النبي ﷺ، ولا يصح أبدًا التقاعس أو التكاسل عن تنفيذ منهجه.

س: في هذا الإطار، هل زمننا هذا مما بشر الرسول ﷺ؟

ج: لا، فنحن لم نصل إلى هذا الزمن، وهذا الكلام طُعم.

س: اسمح لي فضيلة الدكتور، إننا لا نستطيع أن ننكر الدور الهام الذي لعبه بعض الصوفية في نشر الإسلام في أنحاء كثيرة من العالم، ولكن هل تجد هناك فرق بين متصوفة الماضي ومتصوفة الحاضر؟

ج: إننا لا ننكر الدور الكبير لأهل النزاهة والتصوف من السابقين الصادقين، كما لا ننكر أبدًا جهادهم وتحملهم لمسئولية نشر الإسلام ونشر الدعوة، ولكن هناك فرق كما بين السماء والأرض بين الذين يحتسبون عند الله جهادهم ودعوتهم وانتقالهم وأسفارهم في سبيل الله، وبين الذين يتشاجرون ويتخاصمون على الحطام الفاني، وعلى جمع الثروات والنذور الباطلة الشركية؛ لذلك تجد شبه خصومة بين العلماء المجاهدين العاملين وبين قيادات التصوف؛ لأنهم على طريق مختلف، فلو كان الهدف هو الله ما وقع هذا الخلاف؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

(٢) تاريخ الطبري، (٥/ ٢٨٢)، والقائل: وكيع.

س: ثمة ظاهرة تحتاج إلى تفسير؛ إذ أن كثيرًا من المستشرقين أولَوْا التصوف الإسلامي بالكثير من الدراسات المستفيضة ... ما أسباب ذلك وما الهدف من وراءه؟

ج: أولا ـ مفهوم التصوف في زمننا هذا هو التجرد من المظهريات الكاذبة، لكن لا بأس من احتواء الكنوز والنذور لغير الله وما إلى ذلك، فلا حرج عليهم في هذا! أما فيما يخص اهتمام المستشرقين بالتصوف واعتزازهم به؛ فذلك لأن الصوفية المعاصرة على منأى من الجهاد والدعوة إلى الله، فليس من شأنهم أدنى التفات إلى الدعوة إلى الله، أو الجهاد في سبيله، أو مواجهة الأعداء، أو الاشتغال بهموم خير أمة، فلا يدرون عنها ولا يفكرون فيها، إنما همهم لما نراه فقط منهم.

كذلك فإن المستشرقين وأعداء الإسلام من الملل الأخرى والديانات الأخرى، لا تفوتهم هذه الفرصة في استثمار التضليل، والتفريغ لخير أمة من أسس عزتها وكرامتها وهو الجهاد، وقد قال الرسول ﷺ: (**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**)[٣]، فنحن نعيش في عصر المذلة والهوان؛ لأننا بعيدون ولم نفكر ولم ننشغل ولم نلتفت إلى جوهر ديننا، ولا إلى الفرائض الغائبة، حتى ولو بالنية، فالنبي ﷺ يقول: (**من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه؛ مات على شعبة من نفاق**)[٤].

س: فيما يتعلق بالسؤال السابق، هل من تفسير لظاهرة انتهاج الكثير ممن أسلموا من أبناء الغرب للمنهج الصوفي؟

ج: ربما أخذ هؤلاء الإسلام من شق غير مستكمل، ولو اتيحت لنا الفرصة لبصَّرناهم بأن الإسلام كل لا يتجزأ، أتذكر من نوادر ما أحفظ قول أحد الحكماء:

الدين زهد واحتساب وهو سعي واكتساب
الدين إعداد الصوارم والمسؤمة العراب
الدين أس حضارة شماء عالية القباب
الدين أجنحة محلقة على أجنحة السحاب
الدين كل الدين تحرير الحمى من الاغتصاب

هذا هو الدين، أما أن تأخذ بعضه وتترك بعضه فهذا ضلال؛ يقول الله تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ٨٥].

س: في شهر ديمسبر الماضي عقد مؤتمر دولي يضم ما يقرب من ٢٥ باحثًا جاءوا من بلاد مختلفة، ليتحاوروا ويتناقشوا في الجوانب المختلفة التي تربط ابن عربي بمصر، في رأيكم إلى ما تهدف مثل هذه المؤتمرات خاصة، وأننا جميعًا نعرف توجهات ابن عربي؟

ج: إن هؤلاء يعلمون جيدًا أن ألين جبهة للزحف الشيعي هي الصوفية؛ ففيها الأكثرية الساحقة التي لا تدري ولا يمتد بصرها إلى أبعد مما يرون، وعن طريق هذا المدخل يستثمرون الجهل

(٣) رواه أبو داود، كتاب الإجارة، باب في النهي عن العينة، (٣٤٦٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود. (٣٤٦٢)،
(٤) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو. (٥٠٤٠)،

الشائع بين الناس لعزل الأمة عن الجهاد في سبيل الله، وعن تقدير ما يصلح وما يفسد.

س: لكن أليس من العجيب أن نعيب على الصوفية انعزالهم عن المشاركة والفاعلية، ثم ننتقد بعض مواقفهم السياسية؟

ج: إن انتقادنا للمتصوفة من زاوية الاهتمامات الدينية، فإذا كان الصوفية ممن باعوا أنفسهم وطموحاتهم في الدنيا لله، فلم يخالفون وعد الله وعهده؟ ولم الانعزالية؟ ولم البعد؟ وقد يصدق فيهم قول الله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، فكما فرض الله علينا الذكر والتسبيح، فرض علينا أيضًا الاهتمام بمشاكل المسلمين، وقال الرسول الكريم ﷺ: (**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**)[٥]، فلابد من الاهتمام بالقافلة الإسلامية، وبما يصلح أو يفسد الجماعة المؤمنة، ولابد أن نتحمل عبئًا وبذلا في هذا حتى يغير الله واقعنا المؤلم المخزي.

س: أعلن علاء أبو العزائم شيخ الطريقة العزمية أنهم بصدد إطلاق أول قناة صوفية، فهل ترى أنه سيكون لها تأثير في نشر التصوف، أم أن طريقها الفشل؟

ج: الكارثة أن الناس على دين ملوكهم، فنحن في مسيس الحاجة إلى قدوة للناس، قدوة بالدعوة وبالعمل لا بالكلام، ولذلك نرى من أوصاف عباد الرحمن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، وإمامًا هنا تعني قدوة ومثل أعلى يتمناه كل

مؤمن ومؤمنة، فيقول المرء منا: اللهم اهدي لي زوجتي وأولادي ليصبحوا نماذج عملية لإحياء الأمة، ولتغيير صور ضعفها وثغراتها إلى الصورة اللائقة المحببة للنفوس التي يعتز بها الإسلام.

س: في الوقت الذي يلقى فيه المتصوفة كل الدعم والرضا من الغربيين، ما هي الرسالة التي توجهها للشباب المسلم حتى لا تنزلق قدماه في الانخراط في هذا المنهج؟

ج: فطن خصوم الإسلام في الغرب إلى أن خير وسيلة لسلخ الأمة عن رمز عزتها وهو الجهاد، فهذا طعم لخلع رداء العزة والكرامة، وارتداء ثوب المذلة والهوان والضياع، وعدم الاحترام على المستوى العالمي، وبالتالي فإن نصيحتي للشباب أن يأخذوا الدين ككل لا يتجزأ، فلا يصح أن نؤمن بطرف ونفرط في طرف، والله يقول: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ويقول الرسول الأمين ﷺ: (**من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه؛ مات على شعبة من نفاق**)[٦]، حيث يأتي يجر رداء الخزي يوم القيامة، يوم تبيض وتسود وجوه؛ فلابد على الأقل من حديث النفس، وهذا لا يعرفه جهلة الصوفية، فلابد لنا من تجديد للمشرب وللمنهج وللخطا، بصورة مكتملة الجوانب والأركان، من كتاب الله ومن هدي النبي الأمين، ولابد من أخذ الإسلام بشموليته دون تمزيق أو الاستغناء عن ركن من الأركان، ومن أشرف الأركان الجهاد.

س: وقفتم وقفة قوية ورائعة ـ أشاد بها المتابعون لكم كجبهة ـ مع الشيخ القرضاوي، ضد المتخلين عن الشيخ في وقفته التحذيرية ضد انتشار التشيع بين أبناء الدول العربية وخاصة مصر، وكان الشيخ القرضاوي قد حذر مسبقًا من اتخاذ التصوف باب خلفي لانتشار التشيع، فهل ترى أن التصوف في مصر باب خلفي للتشيع؟

ج: تمام، أخشى ذلك جدًّا، وأسأل الله ﷻ أن يوقظ الضمائر والبقية الباقية من ذوي البصائر في الصوفية، وأن يحذروا هذا المنزلق الذي لا نجاة منه ولا إفلات من جهنم أبدًا، وأسأل الله النجاة والسلامة، وأن يحفظ للأمة وجهها الأبيض الناصع البعيد عن الشبهات.

س: هل يمكن أن تعدد لنا بعض مظاهر هذا الاختراق؟

ج: يكفي أن يقولوا بأن سيدنا الحسن أو سيدنا الحسين وآل بيت النبي ﷺ يعلمون الغيب، أو يسمعون من يستنجد بهم ويطلب الغوث، فهذه كلها اعتقادات شيعية، فالاستغاثة والاستنجاد بغير الله كفر واصطدام مع القرآن؛ إذ قال الله تعالى لحبيبه محمد: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فإذا كان إمام الأنبياء لا يعلم الغيب، ولو كان يعلم الغيب لما أضير في غزوة أحد أو غيرها، فما بالك بمن يقول بأنه يعلم الغيب ويغيث الملهوف، فتجد البعض يرددون: «مدد يا سيدي فلان»، ويطلب مددًا من غير الله وهو يعيش على تراب نعمته، فهذا أعمى.

س: من كتبك الماتعة كتاب: «الجذور اليهودية للشيعة في كتاب علل الشرائع للصدوق الشيعي»، فما نقاط التماس التي ترها بين الطرق الصوفية حاليًا والشيعة؟

ج: الحقيقة إذا درست عقائد اليهود والشيعة والصوفية؛ ستجد أوجه شبه كثيرة جدًّا بين هذه العقائد، فالرفض خرج من عباءة اليهودية، فمؤسس الرفض هو عبدالله بن سبأ اليهودي الخبيث، وهناك عقائد قد تمتد إلى بعض الفقهيات؛ فالرافضة لا يأكلون لحم الجزور واليهود أيضًا لا يأكلون لحم الجزور، والرافضة يقولون أنه ليس للمرأة عدة واليهود يقولون مثل هذا، والرافضة ينتظرون المهدي المنتظر واليهود يقولون بالمسيح المنتظر، وكذلك تحريف القرآن عند الرافضة وتحريف التوراة عند اليهود، وسب عائشة بالزنا عند الرافضة وسب مريم بالزنا عند اليهود، والرافضة يقولون بالرجعة وهو ما يقوله اليهود؛ إذ يعتقدون أن بعض الأموات سيعودون إلى الحياة قبل يوم القيامة، وقد انتقلت هذه الفكرة إلى الصوفية.

لهذا؛ فإنك ستجد تطابق في كثير من المواقف بين اليهود والرافضة، كما أخذ الصوفية من التشيع كثير من معتقداتهم؛ كعصمة الإمام عند الرافضة، وهي عصمة الولي عند الصوفية، والشيعة الرافضة لا تقبل المناقشة في مسألة عصمة الأئمة، وكذلك يعتقد الصوفية في الولي، إذ يرون أنه في مرتبة أعلى من النبي.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط ،(٧٦٨٦) ،وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة.(٣١٢) ،

(٦) رواه مسلم ،كتاب الإمارة ،باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو.(٥٠٤٠) ،

كرسي المشيخة.. وصراع الزهاد!

عمرو توفيق
amrsahafa@hotmail.com

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أما بعد:

لقد جاء الإسلام بعقيدة سمحة غراء، من أهم ما يميزها السهولة واليسر، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين العبد وربه ﷻ، فلا وساطة بين الإنسان وخالقه تبارك وتعالى، وإنما بعثت الرسل لتبلغ الرسالة وتبينها وتنير الطريق، ومع انقطاع الوحي بعد النبي ﷺ ورث العلماء مهمة الرسل والأنبياء.

لكن مع تقادم الزمن وتخلي بعض العلماء عن مهمتهم؛ انحرفت فئات من المسلمين عن جادة الطريق، وزينت لهم شياطين الإنس والجن ما لم ينزل به الله من سلطان؛ فتشوهت صورة العقيدة البيضاء، ودخل فيها ما يعقدها ويخرجها عن يسرها ونقائها؛ فأضحت العلاقة بين العبد وربه تتطلب وسطاء وشفعاء من الأموات فضلًا عن الأحياء.

ويتعاظم هذا التشويه العقدي، مع تداعي المبتدعة وتكاتفهم في سبيل الباطل؛ فالبدعة التي كانت بالأمس منبوذة ومستخفية أضحت اليوم مستعلية بمؤسسات وهيئات، وشخصيات عامة تقدم لها السند والدعم المادي والمعنوي، من هذه المؤسسات البدعية التي تهدف إلى ترسيخ الباطل وتزينه، هي مؤسسة "المجلس الأعلى للطرق الصوفية" في مصر، هذه المؤسسة التي تضم مشايخ الطرق الصوفية، وتقوم على رعاية شئون المبتدعة، وتنسيق البدع وتنظيمها؛ مثل الموالد والطواف بالأضرحة ... وغيرها من المظاهر البدعية.

تزعم هذه المؤسسة أنها تهدف إلى تنقية التصوف من البدع والخرافات، والعمل على نشر الفهم الصحيح للإسلام ومحاربة السلفية الوهابية، وترسيخ المعاني الأخلاقية في المجتمع المسلم، والرقي والسمو الروحي، وذلك عن طريق الزهد والذكر والعبادة، والابتعاد عن شواغل الدنيا والتفرغ للآخرة.

هذه المزاعم ظلت لعشرات السنوات راسخة في ذهن المجتمع المصري عن الصوفية بصفتها منبع الحب والزهد، والنموذج الأمثل في طلب الآخرة، هذه المزاعم كانت من أهم العقبات التي واجهت علماء ودعاة الصحوة المباركة، خلال رحلتهم الشاقة في إعادة المجتمع المصري إلى رحاب أهل السنة والجماعة، وكانت هذه المزاعم هي السلاح الأقوى في يد المبتدعة لمحاربة أهل السنة من العلماء والدعاة، بزعم أنهم وهابيون أعراب أغلاظ طلاب دنيا، ليس لديهم حب وزهد وسمو روحي ... وغيرها من المزاعم.

لكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون والكافرون؛ فقد انكشف أمام العامة وبشكل صارخ حقيقة الطرق الصوفية، ومدى انغماسها في البدع والشهوات، وحجم الكذب والتضليل الذي مارسته تحت ستار الزهد والتصوف، حيث تناقلت وسائل الإعلام المختلفة الصراع المشتعل بين مشايخ الطرق الصوفية على زعامة "المجلس الأعلى للطرق الصوفية"، والذي وصل إلى ساحات القضاء، وتخلله اتهامات بالكذب والخيانة والفساد، وظهرت تصريحات ومستندات تفضح المنتفعين من انتشار بدعة التصوف.

وفي الأسطر التالية، نسلط بعض الضوء على خلفية هذا الصراع المشتعل، ونتناول أسبابه ودوافعه، ونحاول التعرف على المستفيد منه.

كرسي المشيخة.. وصراع الزهاد!

عمرو توفيق
amrsahafa@hotmail.com

بداية الصراع وتطوره:

بعد الانتهاء من جنازة الشيخ أحمد كامل ياسين رئيس المجلس الأعلى للطرق الصوفية؛ أعلن الشيخ "علاء أبو العزائم" شيخ الطريقة العزيمة، أنه تمت مبايعته خلفًا للشيخ ياسين، مؤكدًا أن البيعة تمت من كل أعضاء المجلس البالغ عددهم ١٥ عضوًا، وأوضح أن المبايعة جاءت عقب الانتهاء من تشييع جنازة الشيخ ياسين، بعد إصرار عدد كبير من مشايخ الطرق الصوفية على اختيار شيخهم الجديد في أسرع وقت، مشيرًا إلى أن الجنازة حضرها ٧٦ شيخًا للطرق الصوفية.

لكن بعد مرور نحو ثلاثة أيام على هذا الإعلان؛ أطاح سبعة أعضاء بالمجلس الأعلى للطرق الصوفية بالشيخ "علاء أبو العزائم"، شيخ الطريقة العزمية، من منصب شيخ مشايخ الطرق الصوفية بعد ثلاثة أيام من إعلان فوزه بالمنصب، وذلك عقب اجتماع طارئ عقده أعضاء بالمجلس، وانتخب المجلس الشيخ عبدالهادي القصبي، شيخ الطريقة القصبية، شيخًا للطرق الصوفية برغم كونه أصغر أعضاء المجلس سنًّا (٤٥ سنة تقريبًا).

وقال أعضاء ممن قرروا إقصاء "أبو العزائم": إن ما تم بعد الجنازة هو تفويضه [أبو العزائم] في القيام بمهام شيخ الطرق لحين انتخاب شيخ جديد.

الغريب في القضية أن الاجتماع الطارئ حضره "أبو العزائم"، ونشرت الصحف المصرية توقيعه على محضر الجلسة التي انتهت بحصول الشيخ القصبي على ٧ أصوات مقابل ٤ أصوات "لأبو العزائم"، إلا أن "أبو العزائم" خرج بعدها يقول أنه تعرض لخدعة وخيانة.

وتطورت القضية بإعلان "أبو العزائم" حصوله على موافقة ١٥ طريقة صوفية لعقد اجتماع عاجل للجمعية العمومية، من أجل حل المجلس الأعلى للطرق الصوفية، كما هدد بيان صادر من ٣٠ شيخ طريقة برفع دعوى قضائية لفرض الحراسة على مشيخة الطرق الصوفية، في حال فشل الجمعية في التوصل إلى قرار بحل المجلس مستندين في ذلك إلى:

١.أن المجلس الحالي غير قانوني، وبه مشايخ طرق صوفية غير معتمدة، ووجودهم داخل المجلس خطأ؛ لأن طرقهم غير مشهرة وليست مسجلة في المجلس الأعلى، كما أن ثلاثة ممن انتخبوا القصبي ليسوا مشايخ طرق معتمدة، ومنها الطريقة القصبية وشيخها عبدالهادي القصبي المنتخب لرئاسة المجلس.

٢.اعتقادهم بأن حليفهم تعرض لخداع من جانب أعضاء بالمجلس، فقد أقنعوه بأن الانتخابات ستكون شكلية.

٣.أن اختيار القصبي مخالف للأعراف الصوفية وللشريعة الإسلامية، ونقضًا للبيعة الأولى والعهد الذي منح للشيخ «أبو العزائم».

٤.أن ترشيح القصيبي جاء بناء على تعليمات عليا، وأن هناك تدخل حكومي في ترشيحه.

وعلى الجانب الآخر، تمسك الشيخ عبدالهادي القصبي بمنصبه كرئيس للمجلس، مستندًا إلى ما يلي:

١.أن الاجتماع الأول الذي أعلن فيه الشيخ «أبو العزائم» نفسه شيخ لمشايخ الطرق الصوفية لم يكن اجتماعًا قانونيًّا؛ لأن القانون رقم ١١٨ لسنة ١٩٩٧م المنظم للطرق الصوفية، ينص على وجوب دعوة أعضاء المجلس للانتخاب شيخ المشايخ الجديد قبل موعد الانعقاد بـ ٤٨ ساعة، وهو ما لم يتحقق.

٢. أن جلسة ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٨م، والموقع عليها «أبو العزائم» قانونية، وتم رفع المحضر للاعتماد من رئيس الجمهورية، وصدر قرار جمهوري بتعيينه رئيس المجلس الأعلى للطرق الصوفية.

وبالفعل، نفذ "أبو العزائم" تهديده، وعقد جمعية عمومية قررت سحب الثقة من المجلس برئاسة القصبي، وفتح باب الترشيح لانتخاب أعضاء المجلس الأعلى الجديد، وتشكيل لجنة من خمسة أعضاء من الجمعية العمومية لإدارة شئون المشيخة العامة، إلا أن القصبي رفض تلك القرارات، واعتبرها غير شرعية وغير قانونية، ولا يترتب عليها أي آثار قانونية، بل وازداد تمسكه برئاسة المجلس.

في ظل هذا الصراع الشرس الذى تناقلته وسائل الإعلام، حاول بعض الوسطاء التدخل للمحافظة على صورة الصوفية، ووصل الأمر إلى تدخل د.علي جمعة مفتي الجمهورية، والدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر السابق ... وغيرهما، إلا أن جميع محاولات الوسطاء انتهت بالفشل، واستمر الصراع على ما هو عليه.

وعقدت اللجنة الخماسية المؤقتة اجتماعها الأول، وقررت اللجنة اختيار الشيخ محمد الشهاوي رئيسًا لها، كما تقرر أن يكون هذا التاريخ "١٢ فبراير" من كل عام، هو موعد الاجتماع السنوي للطرق الصوفية، ومع توافقه مع ما يعرف بـ"عيد الحب" تقرر اعتبار هذا التاريخ "عيد الحب الصوفي"!

وبدأت اللجنة الخماسية المشكلة لإدارة المجلس أولى مهامها، بتقنين أوضاع ١٣ طريقة صوفية غير مشهرة، رغم ممارسة أنشطتها على مدار ٣٣ عامًا، منذ إصدار قانون تنظيم شئون المجلس الأعلى للطرق الصوفية الذي أقره الرئيس السادات عام ١٩٧٦م، وهو ما اعتبره القصبي ضربة لجبهته؛ فقرر إغلاق مقر المجلس أمام الأعضاء ومنع الاجتماعات، فيما اجتمع بأعضاء جبهته المكونة من ٢١ طريقة منها الـ ١٣ طريقة محل النزاع، وذلك في محاولة لتقنين أوضاعها قبل عقد محكمة القضاء الإدارى بمجلس الدولة.

أسباب الصراع:

يرى المراقبون أن هناك عدة أسباب وراء تفجر الأوضاع داخل البيت الصوفي، من أهمها:

كرسي المشيخة.. وصراع الزهاد!

عمرو توفيق
amrsahafa@hotmail.com

أولا ـ يقول مقربون من الجهات المتصارعة: إن هناك أطرافًا بعينها في قيادات الطرق الصوفية لا تريد «أبو العزائم» شيخًا لها، وأشاروا إلى أن كلًّا من الشيخ محمود أبو الفيض شيخ الطريقة الفيضية، والشيخ أحمد الصاوي شيخ الطريقة الصاوية، من بين المعارضين «لأبو العزائم»؛ بسبب مواقف سابقة تشير إلى أنه كان في سبيل إعادة هيكلة شكل إدارة المشيخة العامة للطرق الصوفية والمجلس الأعلى، بشكل ينهي سيطرة أبو الفيض والصاوي على شئون المشيخة.

ثانيًا ـ على الرغم من تستر الصوفية تحت عباءة الزهد والسمو الروحي؛ يرى المحللون أن الصراع المشتعل بين جبهات الصوفية يعود إلى المزايا والفوائد التي تتوفر جراء اعتلاء المنصة القيادية في البيت الصوفي؛ حيث يحصل شيخ المشايخ على راتب شهري قيمته ٤ آلاف جنيه من صندوق النذور، بالإضافة إلى ١٣٠ تأشيرة حج سنويًا من وزارة الداخلية، يقوم بتوزيعها على الطرق المختلفة، كل طريقة حسب عدد مريديها، وبذلك يضمن شيخ المشايخ ولاء كل الطرق بمشايخها، فضلًا عن إقامة المجلس مؤتمرات وندوات تتكلف سنويًا حوالى ٦ ملايين جنيه، هذا فيما يستمر رئيس المجلس في منصبه مدى الحياة أو حتى يستقيل.

وللتعرف على أهمية المال في هذا الصراع؛ يقول الشيخ «أبو العزائم»: إن الأوقاف تحصل على نسبة ٩٠٪ من حصيلة نذور وتبرعات المساجد وتعطينا الـ ١٠٪ الباقية، وسأحاول أن أبرم اتفاقًا معها لإعطائنا نسبة ٥٠٪ من نذور المساجد الخاصة بالمتصوفين، مثل سيدى إبراهيم الدسوقى، وهذه الأموال ستساعد كثيرًا في دعمنا ماليًا، بالإضافة إلى أننا سوف ننشئ شركة مساهمة مصرية يدخل فيها أبناء الطرق الصوفية، كل منهم يدخل بسهم واحد بقيمة ألف جنيه.

هذه النذور والتبرعات التي تثير لعاب شيوخ الصوفية تقدر بملايين الجنيهات سنويًا، ففي حوار مع صحيفة الأخبار منذ عامين، قال وزير الأوقاف المصري: «إن حصيلة النذور في الفترة من (١/ ٧ / ٢٠٠٥م) إلى (٣٠/ ٦/ ٢٠٠٦م) بلغت ٥٢ مليونًا و٦٧ ألفًا و٥٧٩ جنيهًا».

كما قالت صحيفة المصري اليوم (٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٦م)، أنه في محافظة البحر الأحمر، تنحر الذبائح، وتقدم النذور، يوم مولد «أبو الحسن الشاذلي»، وتصل إلى ١٢٠ ألف رأس من الخراف والماعز والإبل، وبإضافة ما سبق إلى النذور اليومية من الطيور والماشية وحلي النساء ... فضلًا عما ينفقه المصريون خلال الموالد على اللهو والمأكولات؛ تتبين حجم الأموال التي يسيطر عليها الصوفية.

ذلك ما أشار إليه الباحث محمد صبري محمد يوسف في دراسته المهمة التي نال عنها درجة الماجستير، والتي جاءت بعنوان «دور المتصوفة في العصر العثماني»؛ حيث رصد في الفصل الخاص بمصادر القوة الاقتصادية للمتصوفة، كيف استفاد كبار المتصوفة من الملمح التجاري للموالد، وكيف أن هذه الموالد مثلت أسواقًا سنوية يتم فيها التعامل التجاري جنبًا إلى جنب مع زيارة المريدين لأصحاب الأضرحة.

هذه الأموال لم يعرف كيفية إدارتها داخل رئاسة الطرق الصوفية، لكن مع تفجر الأزمة الأخيرة بدأت بعض المعلومات تتسرب حول الفساد المالي، ظهرت هذه المعلومات عندما توجه «أبو العزائم» ببلاغ إلى مباحث الأموال العامة يتهم فيه القصبي بالتستر وارتكاب مخالفات مالية وإدارية خلال موسم الحج الماضي، بلغت قيمتها حوالي ٤٠٠ ألف جنيه، ومن المنتظر مع تصاعد الخلاف أن تتكشف المزيد من الحقائق.

ثالثًا ـ التدخل الحكومي، حيث يرجح المراقبون أن تكون السلطات الرسمية هي التي أشعلت فتيل الأزمة، واستثمرت الأسباب السابقة في تفجير الصراع بين جبهة القصبي وجبهة «أبو العزائم»، وذلك بسبب التخوف من الاختراق الشيعي للطريقة العزيمة، فضلًا عن التفكير في استخدام اتباع الصوفية في التطورات السياسية القادمة في مصر، وعلى رأسها قضية توريث السلطة.

ولأهمية هذا السبب الأخير وترجيحه من قبل المراقبين؛ نلقي بعض الضوء على أسباب التدخل الحكومي في الصراع المشتعل على رئاسة الصوفية:

أولًا ـ مخاوف من الاختراق الشيعي والنفوذ الإيراني:

في تقرير لتلفزيون "بي بي سي"؛ قال محمد شكري عبود الصحفي المتخصص في ملف الصوفية: "بعد مبايعة الشيخ "أبو العزائم" انتبه الأمن لملف الرجل ولعلاقاته مع الإيرانيين، إنها نقطة تسبب قلقًا وحساسية مفرطة؛ لذا تم الانقلاب على الشيخ "أبو العزائم"".

وملف "أبو العزائم" مع الشيعة عليه العديد من علامات الاستفهام؛ حيث كشف تقرير وصف بالسري للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وتناقلته بعض وسائل الإعلام، عن سعي إحدى الطرق الصوفية لإنشاء مركز دراسات للشيعة من الباطن بتكلفة تصل لأكثر من ١٠ ملايين جنيه في منطقة الدراسة بالقاهرة، هذا في الوقت الذي تحرص السفارة الإيرانية وقياداتها على المشاركة في احتفالات ومؤتمرات الطريقة العزمية بالسيدة زينب، سواء أكان ذلك بدعوة من الطريقة، أو بغير دعوة، وهو الأمر الذي لم ينفيه شيخ الطريقة، الذي يعترف أيضًا بسفره ثلاث مرات إلى إيران بصفته عضو في لجنة التقريب بين السنة والشيعة.

يضاف إلى ذلك ما نسب إلى الشيخ محمود عاشور وكيل شيخ الأزهر الأسبق من أنه علم أن الشيخ الشيعي عبدالله القمي، طلب من شيخ الطريقة العزمية "علاء أبو العزائم" ترشيح بعض رجال الأعمال المصريين لإقامة علاقات تجارية

كرسي المشيخة.. وصراع الزهاد!

عمرو توفيق
amrsahafa@hotmail.com

مع رجال أعمال إيرانيين؛ لإنشاء مصنع أدوية في مصر بتكلفة ٦٠ مليون جنيه، وبالفعل طرح "أبو العزائم" أسماء بعض رجال الأعمال من أبناء الطريقة، وزاروا طهران، وتم عقد صفقات تجارية ولكن في مجال السيارات، وهو الأمر الذي يحمل دلالة ذات مغزى، حيث الثقة الكبيرة التي يحظى بها الدكتور "أبو العزائم" من قِبل الدولة الإيرانية.

ويعزز هذا الاتهام تحدي الشيخ "أبو العزائم" لموقف المجلس الأعلى للطرق الصوفية، الرافض للمشاركة في مؤتمر دعت إليه عناصر شيعية في أمريكا بمشاركة المجلس العالمي للتصوف، وهو المؤتمر الذي وصفه الدكتور محمد أبو هاشم عميد كلية أصول الدين بالزقازيق، بقوله: "إن هذا المؤتمر شيعي، والهدف من دعوة بعض مشايخ الطرق للمؤتمر هو محاولة تجنيدهم لدخول التشيع إلى مصر؛ لأن المنظمين للمؤتمر من الشيعة".

وكان الدكتور يوسف القرضاوي قد حذر في العام الماضي من المحاولات الشيعية لاختراق مصر، وقال: "إن الشيعة أخذوا من التصوف قنطرة للتشيع، وأنهم اخترقوا مصر في السنوات الأخيرة من هذا الجانب"، وقد فهم "أبو العزائم" أن الشيخ القرضاوي يقصد طريقته، فرد بهجوم عنيف، متهما القرضاوي بالعمالة للصهاينة وأمريكا، وهو ما تناغم مع الهجوم الشيعي القذر ضد الشيخ القرضاوي.

هذه الاتهامات عززت المخاوف الرسمية من المحاولات الشيعية لاختراق مصر ضمن استراتيجية توسيع النفوذ الإيراني في المنطقة، خاصة مصر التي قال عنها الخميني: "مصر سنية المذهب، شيعية الهوى"، فقد أشارت عدة تقارير إلى أن عددًا من أتباع الطرق الصوفية قد تشيعوا؛ حيث وصل عددهم بحسب الناشط الشيعي محمد الدريني رئيس "المجلس الأعلى لرعاية آل البيت في مصر" إلى ما يقرب من مليون، وهو رقم يرى المراقبون أنه مبالغ فيه جدًا، فالأمر لا يعدو تأثر قرابة ٢٠٠٠ صوفي على الأكثر.

في هذا الإطار، يروي المهندس محمود المراكبي صاحب المؤلفات الشهيرة في نقد الصوفية والشيخ السابق للطريقة الخلوتية لنحو ١٥ عامًا[١] - يروي قصته مع أحد الشيعة خلال زيارته إلى مصر، حيث طلب أن يزور بعض الأضرحة، وبعد الزيارة قال: (هل تظنون أن مصر أهل سنة، أنا لم أرى داخل الأضرحة غير شيعة)، فهو يقصد أنه لا فرق بين الممارسات الشيعية وبين ما يتم داخل الأضرحة، مثل السجود عن العتبات وتقبيلها؛ لذلك فالشيعة أملهم في مصر كبير، وأن تعود دولة شيعية مرة أخرى؛ فيلعن أبو بكر وعمر على منابر الأزهر مرة أخرى.

ويشير المراكبي إلى أن الشيعة يستغلون حب المصريين لأهل البيت ﷺ في نشر مذهبهم بطريقة خبيثة، وهي تشجيع ودعم حب أهل البيت وإقامة الموالد، وفي نفس الوقت نشر الشبهات حول الصحابة وإثارة القضايا الشائكة، ونشر الأحاديث والقصص الموضوعة، خاصة في ظل انتشار الأمية الدينية؛ وبذلك تختل كفتي الميزان عند المصريين، الذي يحبون الصحابة كما يحبون أهل البيت ﷺ جميعًا، فهم يستغلون الحب والجهل في نفس الوقت، كما يستغلون قضية الإمام لدى الشيعة والقطب لدى الصوفية، ولابد أن يكون القطب أو الإمام من أهل البيت، وهذا من أهم مداخلهم.

على الجانب الآخر، يرى الدكتور كمال حبيب الباحث المختص بشئون الحركات الإسلامية[٢] أنه ليس استغلالاً في الواقع، وإنما هو جزء من منظومة التشيع، التي تعبر عن تدين بلا دين، والمقصود بذلك هو أن من يقومون بأعمال الشرك المنافية للتوحيد من الشيعة والمتصوفة يفعلون ذلك تدينًا، ولكن الدين أو المرجع الذي يرجعون إليه، هو في الواقع مذهب وضعه على مدار القرون رجال استندوا إلى أساطير وأوهام، ولم يشرعه رب العالمين.

(١) مجلة البيان، العدد (٢٥٨).
(٢) مجلة البيان، العدد (٢٥٨).

ويضيف حبيب: "فالتشيع والصوفية وجهان لحقيقة واحدة، وهي الارتكاس في وحل الوثنية وعبادة الأشخاص، والولع بالقبور العظيمة والطواف حول المقبورين بها، سواء أكان ذلك حقًا أم صوابًا، الصوفية هي نوع من الممارسات الأقرب للأساطير والخرافة وكذلك التشيع، وبالطبع مدخل حب آل البيت هو المدخل الذي يدخل به الشيعة على المتصوفة؛ ومن ثم يصبح المتصوف على شفا جرف هار من بوابة التشيع، بيد أن التوحيد والإسلام الإحيائي المقاوم ينتشر ويتجذر في نفوس عامة المسلمين في مصر والعالم العربي والإسلامي كله؛ لأنه دين الفطرة والعقل، ودين التوحيد والفقه والشريعة والإنسان".

ثانيًا - ترتيبات سياسية:

تتداول الأوساط الصوفية في الوقت الراهن معلومات لم تؤكدها مصادر مستقلة، حول دعم المهندس أحمد عز أمين التنظيم بالحزب الوطني الحكام ورئيس لجنة الخطة والموازنة بمجلس الشعب المصري، للشيخ القصبي لأسباب انتخابية، خاصة وأن عز مقرب من الأوساط الصوفية، بسبب علاقة المصاهرة مع الراحل أحمد كامل ياسين.

كما أن القصبي عضو بالحزب الحاكم، وعضو مجلس الشورى المصري عن دائرة طنطا، ومدير فرع البنك العربي الأفريقي بطنطا، كما أن والده كان شيخًا للطرق الصوفية خلال الفترة من ١٩٩٤م وحتى وفاته في عام ١٩٩٧م، وهو محافظ الغربية الأسبق إبان فترة حكم السادات، وله باع طويل في تشجيع أتباعه على ممارسة العمل السياسي من خلال الحزب الوطني، وبالتالي فمن الطبيعي أن يمارس ابنه النشاط مع أتباعه، وهذا يتماشى مع توجيهات الحكومة التي تهدف إلى إعطاء دور أكبر للصوفية في مواجهة الحركات الإسلامية بشقيها السياسي والدعوي.

ويقول المراقبون: إن توليه المشيخة سيصب في خدمة الحزب الوطني لمزيد

كرسي المشيخة.. وصراع الزهاد!

عمرو توفيق
amrsahafa@hotmail.com

من الدعم الشعبي، وتوسيع قاعدته الجماهيرية من خلال ضمان أصوات أغلبية أعضاء الطرق الصوفية، والمقدرين بحوالي ١٥ مليون مواطن لصالح الحزب ومرشحه في انتخابات الرئاسة المقبلة، وقالت قيادات في الحركة الصوفية لموقع "إسلام أون لاين": إن الشيخ القصبي ومؤيديه في المجلس الأعلى للطرق الصوفية حرصوا على تأكيد «هذه الشائعات»، وقالوا: إن ما فعلوه مع «علاء أبو العزائم» (تم بأوامر عليا)، إلا أنهم سرعان ما نفوا ذلك.

كما نفت الحكومة المصرية - بما في ذلك الجهات الأمنية - تدخلها في سير أعمال الطرق الصوفية، وأعادت رئاسة الجمهورية القرار الخاص بانتخاب الشيخ القصبي، والذي تم في ٢٥ نوفمبر، إلى الجهات المختصة «حتى يتم إقرار الوضع حسب ما يتفق عليه مشايخ الطرق الصوفية»، بحسب رد رئاسة الجمهورية على القرار، إلا أن المصادر الصوفية ترى أن الجهات الحكومية لعبت دورًا في خلق الأزمة وتصعيدها، بعدم ترجيحها كفة طرف من أطراف الأزمة على طرفها الآخر؛ بما أدى لاستمرارها وعدم حسمها.

ولتفسير هذا التوجه الرسمي، قال مقال في صحيفة المصري اليوم: «عز وجد في الصوفية حلًا لمشكلة الالتزام الحزبي المفقود؛ فالصوفية بشكل خاص تركز على مبادئ تربية الروح والنفس، وتنمية روح المراقبة والمحاسبة عند الأفراد، كما تستفيد من كثير من الطرق الجماعية لممارسة العبادة لتقوية الأواصر بين أتباع الطريقة، هذا التركيز على الممارسات العبادية الجماعية والشعور بالسعادة من جراء التقرب من القطب «الأمين»، يجذب الكثير من الناس بما يمنحه لهم من اطمئنان نفسي ويجعل الحزب ذا شعبية كبيرة»[٣].

هكذا سقطت الصوفية ... سبعة ملايين صوفي في الطريق إلى الحزب، «الحزب يعبئ الصوفية في أجولة من الخيش، يزفهم زفًا للبيعة الكبرى، عز يستعد للبيعة، لليوم الموعود وعليه شهود»[٤].

ويبقى القول أن «أبو العزائم» يتماهى أيضًا مع الطرح الحكومي؛ حيث قدم مسوغات قبوله لدى السلطة عدة مرات؛ مثل قوله: «لنا عدة مواقف سياسية؛ أولها مبايعتنا للرئيس ومن بعده جمال مبارك، حتى لو أخطأ الاثنان في جميع مواقفهما ... وهي عادتنا منذ عهد فاروق وحتى الآن؛ خلافة ماشي، اشتراكية أوكيه، رأسمالية موافقين، ودلوقت معرفش موقفنا بالضبط إنما موافقين عليه!»[٥]، كما قال في حوار مع «إسلام أون لاين»: «إن الصوفية بايعوا الرئيس مبارك على رئاسة الدولة مدى الحياة، ولو عاش حتى عام ٢١٠٠م».

إلا أن علاقته مع إيران، وتقدمه في العمر، وغيابه عن الوعي السياسي، كان ذلك وراء استبعاده، وترشيح القصبي الأصغر سنًا والأكثر وعيًا وخبرة بالجوانب السياسية.

خلاصة القول، أن هناك تقارير تشير إلى تدخل حكومي تسبب في اشتعال الصراع الصوفي، وأن هذا التدخل يهدف أولًا إلى قطع الطريق أمام اختراق المجتمع المصري من قبل إيران، تحت ستار التشيع، وارتداء عباءة التصوف، وثانيًا بهدف ضمان مشاركة أتباع الصوفية في التصويت على الترتيبات السياسية القادمة، خاصة قضية توريث السلطة، وذلك في ظل تدني نسبة المشاركة السياسية للمجتمع المصري - باستثناء التيار الإسلامي - وهذه المشاركة الصوفية ستتناسب أكثر مع القصبي بصفته أصغر سنًا، وعضو بالحزب الحاكم، فضلًا عن تجارب والده السابقة في تشجيع الصوفيين على المشاركة السياسية.

كل ذلك يأتي اتساقًا مع التوجهات والتوصيات الأمريكية، التي تدعو إلى دعم التيار الصوفي بصفته السلاح الأقوى في مواجهة التيار الإسلامي المتصاعد في المنطقة، وهو ما ذكره تقرير مؤسسة الأبحاث الأمريكية «راند» منذ أكثر من سنتين، تحت عنوان «الإسلام المدني الديمقراطي ... من يشارك فيه؟ وما هي مصادره واستراتيجياته؟».

ومن بين توصيات الدراسة، توجيه قدر أكبر من الانتباه إلى الإسلام الصوفي، وذلك من خلال تشجيع شعبية الصوفية وقبولها، عبر تشجيع البلدان ذات التقاليد الصوفية القوية على التركيز على ذلك الجانب من تاريخها، وعلى إدخاله ضمن مناهجها المدرسية، وتبعًا لذلك أوصت لجنة الكونجرس الخاصة بالحريات الدينية بضرورة قيام الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية، الأمر الذي سيحظى بأكثر من استجابة من قِبل حكومات هذه الدول، وهو ما سيتضح من خلال أكثر من مؤشر دال في هذا السياق[٦].

مما ورد في تقرير "راند" عن الطرق الصوفية: "يعظمون قبور القديسين، ويؤدون عندها الصلوات، يؤمنون بالأرواح والمعجزات، ويستخدمون التعاويذ، ومجموعة الاعتقادات هذه أزالت تمامًا التعصب الوهابي، وأصبح الكثيرون منهم لا يرون تضاربًا بين معتقداتهم الدينية، وولائهم لدولهم العلمانية وقوانينها"[٧].

(٣) فصل الخطاب، المصري اليوم، ١٦/١٢/٢٠٠٨م.

(٤) فصل الخطاب، المصري اليوم، ١٦/١٢/٢٠٠٨م.

(٥) حوار مع صحيفة: اليوم السابع، ٥ ديسمبر ٢٠٠٨م.

(٦) عباس بوغالم، إسلام أون لاين، صوفية المغرب ... رعاية رسمية ودعم أمريكي.

(٧) عبدالحق بوقلقول، مجلة الصوفية، التدين الخرافي تحت الرعاية السامية.

إيضاح التبار

في قول الرفاعي حالنا يتفق مع التتار

أكرم مبارك عصبان

ونحن نعالج صيال الصوفية على الدين بالدفع، ونشد عليهم زحفًا بإيجاف خيل الأدلة وركابها، وننبلهم بسهام الحق من نصوص الكتاب والسنة؛ فإننا نسل من ذلك من استقام على الجادة ولم يتلوث بالعقائد المنحرفة، وإنما ظن التصوف شقيق الزهد فمضى إليه، وإن من التبس عليه الأمران لو رأى حقيقة الزهاد الذين مضوا من الصحابة، الذين عاشوا الوحي ومن سار على هديهم، ممن لم يتأثر بالرهبانية المبتدعة؛ لفر من الزهد فراره من الأسد[1].

(١) انظر أخبارهم قد جمعت في أسفار عظيمة؛ ككتاب الزهد الذي ألفه جماعة منهم البيهقي، وابن أبي حاتم الرازي، وأبو داود، وأحمد بن حنبل، ووكيع، وابن المبارك، وأسد بن موسى، وابن أبي الدنيا، وغيرهم.

إيضاح التبار في قول الرفاعي حالنا يتفق مع التتار

أكرم مبارك عصبان

غير أن التصوف قد دخل في مسماه عقائد باطلة وانحرافات كبيرة، وإن من أشد خطر هذه الانحرافات العقدية أنها صارت بوابة يدلف من خلالها الأعداء لتشويه جمال الدين من ناحية، واستغلال بعض أصحابها في تمرير مكائد الأعداء من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وقد يبادر الواقف على هذا الكلام ـ بادي الرأي ـ بوصفه بالمبالغة، ويوجه أصابع الغلو إلى قائله، ولكن قبل ذلك عليه أن يمد لنا حبل التفصيل من خلال الوقوف عند تصريح خطير في هذا المقام، ثم لينظر هل يذهبن ذلك ما تعجب منه.

قال جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبدالله الظاهري الحنفي، الملقب ابن تغري بردي المؤرخ البحاثة، المتوفى سنة ٨٧٤ هـ، في كتابه المنهل الصافي، في ترجمة أحد أقطاب الصوفية، وهو صالح الأحمدي الرفاعي ت ٧٠٧ هـ: (كان للناس فيه اعتقاد وترداد، لا سيما التتار والمغول! وكانت الملوك يكرمونه غاية الإكرام، وقدم إلى القاهرة، وحضر مجلس السلطان مرارًا عديدة، وكان له فضل ومشاركة جيدة، وهو الذي تناظر مع الشيخ تقي الدين بن تيمية بالقصر بحضرة السلطان، وحنق الشيخ صالح من ابن تيمية، وقال: نحن ما يتفق حالنا إلا عند التتر، وأما قدام الشرع فلا!

ومعنى كلامه: أنه كان للتتار فيه اعتقاد عظيم، ويروج عندهم كلامه لما يتكلم من أقوال الصوفية بكلام لا يقبله أهل الشرع، ثم عاد إلى دمشق وأقام بها، وكان يسكن بالمنيبع إلى أن طرقها التتار، فلما وصل قطلوشاه مقدم التتار نزل عنده، وأظهر من المحبة له ما لا يوصف، ونفع الناس بذلك، توفي سنة سبع وسبعمائة رحمه الله تعالى)[1].

فتأمل هذا النقل المهم ليجلو لك الحقيقة التي يخفيها كثير من هؤلاء، ويبدونها في مواضع قليلة اضطرارًا، وأسرج فرسك واركب معي لنتجول في معانيها، وقد يسر لنا ابن تغري بردي بعضًا من مضامينها، وكلامنا في أمور على نحو ما يلي:

أولًا ـ أهمية المناظرة مع المنحرفين بعد معرفة فكرهم واستدلالهم، وإقامة موازين الكتاب والسنة التي تشهد على زيف بضاعتهم، وتدحض باطلهم؛ فإن القرآن قد نادى أهل الباطل في أن يأتوا بسلطان على قولهم، بل وأثارة من علم، فالشرع واضح لا غموض فيه، وكل من تمسك به قويت حجته، وعلى الأمة أن تعتصم بالوحي، وما قبض الله رسوله ﷺ إليه إلا بعد أن أكمل للمسلمين دينهم؛ قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وأمرهم الله تبارك وتعالى بالاجتماع على ما جاءهم عنه، ونهاهم عن التفرق من بعد أن جاءهم البيان؛ فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وحثهم على اقتفاء الصراط المستقيم وحذرهم من اتباع السبل، وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]، قال: (البدع والشبهات)[2]، وقال عمر بن عبدالعزيز: (لا عذر لأحد بعد السنة في ضلالة ركبها يحسب أنها هدى)[3].

ثانيًا ـ لقد قام شيخ الإسلام بواجب البيان والصدع بالحق، وحكى في الفتاوى طرفًا من رده على الرفاعي وأتباعه، فكان مما بينه أنه:

-كتب ما حصل مع البطائحية في جمادى سنة ٧٠٥ هـ ومن انتسب منهم للزهد، وسلك طريق الفقر والوجد والمحبة، وأظهروا المخارق الباطلة والاستخفاف بالشريعة، وأن لهؤلاء موقع في قلوب الناس، واعتقاد لانتشارهم في البلاد، واستحواذهم على الأمراء والأجناد؛ لخفاء نور الإسلام في دولة التتار، وحكى أنه كان مرة عند بعض أمراء التتار بالمشرق، وكان له صنم يعبده، وأن شيخًا قال له: إن هذا الصنم يأكل الطعام، فبين له أن لهذا الصنم شيطان يغوي ذلك التتري.

-ذكر أن شيخهم الذي يسيح بأقطار البلاد قال: أحوالنا تظهر عند التتار، لا تظهر عند شرع محمد بن عبدالله، حين أنكر عليهم بدعة الأغلال التي يلبسونها وجعلوها شعارًا لهم وعبادة ودينًا، وخاطب شيخهم في الجامع بأن ذلك بدعة لم يشرعها الله، وكانوا يزعمون أن لهم أحوالًا وأمورًا باطنة،

وأنهم يستحقون التسليم لهم لاختصاصهم بهذه الأحوال الخارقة كالنار.

فرد عليهم بأن الظاهر والباطن مردود إلى شرع الله، وأما أحوالهم مع النار فتحداهم على يغسلوا أجسامهم بالخل والماء الحار؛ لأن لهم حيل يصنعونها من دهن الضفادع وقشر النارنج، فقال لشيخهم: أدخل أصبعي وتدخل أصبعك في قنديل، ولكن بعد غسله، فمن احترقت أصبعه فهو مغلوب؛ فأبى، قال: ومع هذا فلو دخلتم النار لم يكن في ذلك دلالة على صحة ما تفعلونه، فإن الدجال الأكبر يقول للسماء أمطري فتمطر.

ـ بين مشابهتهم للرافضة حين خوفه بأحوالهم، وأفاض في ذكر ما جرى معهم بحضرة السلطان، وانكسارهم أمام حجة الحق[4].

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ابن تغري بردي، (٢/ ٣٨).

(٢) تفسير الطبري، (١٢/ ٢٢٩).

(٣) السنة، محمد بن نصر المروزي، ص(٣١).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية، (٣/ ٢٤).

إيضاح التبار
في قول الرفاعي حالنا يتفق مع التتار

أكرم مبارك عصبان

ثالثًا ـ كلما غلا أهل التصوف في مذهبهم، وأتوا بما لا يتفق وتعاليم الدين؛ كلما طمع فيهم أعداء الله، وقاموا بتشجيعهم، وإفساح الفضاء لهم كي يقدموا طريقتهم التي تتنافى مع تعاليم الإسلام، فكان هتك عوراتهم من أجل الأعمال، وأعظم الجهاد بالكلمة في بيان حال هؤلاء الذين تستروا بالدين في نشر عقائدهم.

فكيف يستقيم حال هؤلاء مع من أُشرب الكتاب والسنة في قلوبهم، وهم قد طعنوا في الدين، وفتحوا باب الوحدة والاتحاد؟! ولماذا ينفر منهم أهل الاستقامة، وهم الذين شادوا معالم القبور والتمسك بها، وفتحوا تقديس الأولياء وعصمتهم وعبادتهم من دون الله؟!

وهل يسوغ التعجب من ذلك وهم الذين قرروا مذهب الجبرية وتمادوا فيه، حتى قرروا أن ما يفعله الأعداء من مصائب، إنما هي بقضاء فلابد من الرضا به؟! ومتى يتفق معهم المخلصون وقد أثخنوا الشريعة بدعًا ما أتوا عليها بسلطان، وأنشأوا السماع والرقص وأذكار مبتدعة وزوايا وحضور الغناء والمزامير.

رابعًا ـ إذ إن جملة السلوك الذي يقبع أصحابه في الزوايا، ويعكفون على بدع لهم من رقص وسماع، ويمارسون رياضة الجوع والسهر، ويضيفون إلى ذلك الشطحات العظيمة، والجرأة في الطعن في الدين، ولا يقومون بواجباتهم فضلًا عن القيام بدعوة النبي ﷺ ونشرها في الآفاق، فذلك ما يطلبه الأعداء من فصل الشرع عن الحياة، وقد أنشد أبو العباس أحمد بن الجاجة قديمًا بعضًا من أحوالهم[٥]:

يا سائلي من طريق الفضل والأدب ... عن معشر فعلهم أدى إلى العطب
قوم إلى راحة استأنسوا ونأوا ... عن التكس بين الناس والتعب
قالوا بلا سبب الله رازقنا ... والله رازقنا بالسعي والسبب
وباكروا اللهو واللذات واتخذوا ... لهو الحديث لهم دينًا مع الطرب
إذا أتوا منزلًا قالوا لصاحبه ... قبِّل يد الشيخ ذي الإكرام والأدب
هذا له نظر هذا له همم ... له الكرامات بين العجم والعرب
يمشي على الماء يطوي الأرض قاطبة ... وفاتح كل باب مغلق أشب
اطلب رضا الشيخ وانظر أين مذهبه ... وليس مذهبه إلا إلى الذهب
هذا وقد جاء بالمعلوم فابتدروا ... محسرين عن الأيدي على الركب
كل امرىء منهم في الأكل معضله ... ومرجف الأرض يوم الروع بالهرب
إذا تغنى مغنيهم سمعت لهم ... صراخ قوم رموا بالويل والحرب
ما زال ليلهم رقصًا فإن تعبوا ... تطارحوا في زوايا البيت كالخشب
ضرب القضيب مدى الأيام شغلهم ... والرقص دأبهم والضرب في الضرب
قالوا لنا مذهب وهو الحقيقة لا ... نقول بالشرع ثم الدرس في الكتب
ولا نريد من الرحمن جنته ... ولا نخاف لظى جاءت على غضب
وما بهذا كتاب الله أخبرنا ... وجاءت الرسل بالترغيب والرهب
زاروا النساء وآخوهن هل عصموا ... منهن أم أمنوا من طارق النوب
أبرأ إلى الله من قوم فعالهم ... هذا وعن ذمهم ما عشت لم أت

خامسًا ـ لقد أصبحت بعض الطرق ظهيرة لاستعمار المسلمين، ويظهر هؤلاء الأعداء أنهم ليسوا ضد الإسلام ـ الصوفية وأشباههم ـ وإنما هم ضد ما يسمونه التطرف، ومرادهم ما بني على الفهم الصحيح لتعاليم الإسلام المستنبطة من الكتاب والسنة، ويريدون إشاعة الصوفية المنحرفة من خلال سيطرة الطرق على الفكر، وإحياء دوره الذي اضمحل كثيرًا، فدعونا في هذه النقطة نُعرِّج على اختراق الغرب المستعمر لبعض هذه الطرق في احتلاله بلاد المسلمين، ونأخذ من ذلك ما يسمح به المقام:

قال الشيخ محمد الكبير صاحب السجادة الكبرى التيجانية، وهو خليفة أحمد التيجاني مؤسس هذه الطريقة، وهذا الخليفة يسيطر على المريدين لطريقته: (إنه من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا ماديًا وأدبيًا وسياسيًا؛ ولهذا فإني أقول لا على سبيل المنِّ والافتخار، ولكن على سبيل الاحتساب والتشرف بالقيام بالواجب .... أن تصل بلادنا وقبل أن تحتل جيوشها الكرام ديارنا.

ففي سنة ١٨٣٨ م كان جدي سيدي محمد الصغير ـ رئيس التيجانية يومئذ ـ أظهر شجاعة نادرة في مقاومة أكبر عدو لفرنسا الأمير عبدالقادر الجزائري، ومع أن هذا العدو ـ الجزائري ـ حاصر بلدتنا عين ماضي، وشدد عليها الخناق ثمانية أشهر؛ فإن هذا الحصار تم بتسليم فيه شرف لنا نحن المغلوبين، وليس فيه شرف لأعداء فرنسا الغالبين، وذلك أن جدي أبى وامتنع أن يرى وجهًا لأكبر عدو لفرنسا، فلم يقابل الأمير عبدالقادر)[٦].

(٥) انظر اتباع السنن واجتناب البدع، ضياء الدين المقدسي، ص(٢).

(٦) دراسات في التصوف، إحسان إلهي ظهير، ص(٢٧٤)، وفي هامشه نقل عن مؤلف الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التيجاني، ذكر كرامات شيخنا؛ منها إخباره باستيلاء فرنسا على بلاد الجزائر، وكان كثيرًا ما يشير إلى ما يفيد التحقق بوقوعه تصريحًا وتلميحًا.

إيضاح التبار
في قول الرفاعي حالنا يتفق مع التتار

أكرم مبارك عصبان

عبدالقادر الجزائري الذي قام بجهد في مقاومة الاستعمار مع ما كان عليه من تصوف، وكان أيضًا الشيخ الحداد أحد قادة ثورة القبائل الكبرى، قد انتهت إليه مشيخة بعض الطرق، فمثل هؤلاء أدوا ما عليهم، ولم ينساقوا خلف أوهام غيرهم من الصوفية.

دور ابن باديس والإبراهيمي في رفض الصوفية:

لقد حرص الاستعمار الفرنسي للجزائر على إزالة روح الإسلام، ولم يبق إلا على طرق لا تتعارض مع سياسته، فكان لابد للمصلحين من العمل على جبهتين؛ إحداهما: مقاومة الفكر المنحرف، والأخرى مقاومة الاستعمار، فالمسألة منوطة أولًا بالتخلص من ذرائع الاستعمار، الذين عندهم استعداد لخدمته، قال مالك بن نبي: (أما باديس، فقد جاء في فترة جددت فيها النزعة الصوفية، وهنا موضع الخطورة، ذلك الحلقة لم تستأنف بالفقه والرباط، بل بالتميمة والزاوية)[٧].

وكذا صاحبه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي حمل الراية، ورأى خطر هذه الطرق المبتدعة على الإسلام، والعودة بالناس إلى المنابع الصافية؛ فكان يقول: (ونعلم أننا حين نقاومها نقاوم كل شر، وأننا حين نقضي عليها - إن شاء الله - نقضي على كل باطل ومنكر وضلال)[٨].

رشيد رضا يشد النكير في هذا الباب:

ذكر في تفسير المنار خطر الغلو في الصالحين ونقل ما يحكى عن مسلمي بخارى أن شاه نقشبنده هو الحامي لها؛ فلن تستطيع الدولة الروسية الاستيلاء عليها، وما كان يحكى عن مسلمي المغرب الأقصى من حماية مولاي إدريس لفاس وسائر المغرب أن تستولي عليها فرنسا، وأنه لما قام بالإنكار على أهل الطرائق القدد في ذلك نالوا منه ورموه بالاعتزال فقال:

(وها هو ذي فرنسا استولت على بلادهم كما أنذرهم، وظهر أن أكبر مشايخ الطريق نفوذًا ودعوى للكرامات بالباطل كالتيجانية، كانوا وما زالوا من خدمة فرنسا ومساعديها على فتح البلاد واستعباد أهلها، أو إخراجهم من دين الإسلام إلى الإلحاد أو النصرانية من حيث يدرون أو لا يدرون.

بجهل أمثال هؤلاء وغيرهم من الذين يظنون أن الشرك بالله تعالى خاص بعبادة الأصنام والأوثان، أن أصل هذا الشرك هو الغلو في تعظيم الصالحين والتبرك والتوسل بأشخاصهم لإبطال سنن الله)[٩].

أخبار يرويها الجبرتي في تاريخه:

وهو يذكر ما يندى له الجبين من أفعال بعض الصوفية، التي منها:

- إن أهل مصر جروا على عادتهم في بدعهم التي كانوا عليها وانكمشوا عن بعضها، واحتشموا خوفًا من الفرنسيس، فلما تدرجوا فيها وأطلق لهم الفرنساوية القيد ورخصوا لهم وسايروهم، رجعوا إليها وانهمكوا في عمل مواليد الأضرحة التي يرون فرضيتها، وأنها قربة تنجيهم بزعمهم من المهالك، وتقربهم إلى الله زلفى في المسالك.

- عمل المولد النبوي بالأزبكية ودعا الشيخ خليل البكري ساري عسكر الكبير مع جماعة من أعيانهم، وتعشوا عنده، وضربوا ببركة الأزبكية مدافع وعملوا حراقة وصواريخ، ونادوا في ذلك اليوم بالزينة وفتح الأسواق، ابتدءوا في عمل مولد الحسيني وقهروا الناس، وكرروا المناداة بفتح الحوانيت والسهر، ووقود القناديل عشر ليال متوالية.

- في أحداث العشرين من ربيع الثاني ١٢٤١هـ لما حضر الفرنساوية إلى مصر، تشاغل الناس عن مولد علي البكري، وهو المجنون الذي جعلوه قطبًا يعتقدون فيه، ويهرعون إلى قبره رجالًا ونساء

بالنذور، وأهمل الناس شأنه في جملة المهملات، وترك مع المتروكات، فلما فتح أمر الموالد والجمعيات، ورخص الفرنساوية ذلك للناس، لما رأوا فيه من الخروج عن الشرائع واجتماع النساء واتباع الشهوات، والتلاهي وفعل المحرمات، أعيد هذا المولد مع جملة ما أعيد[١٠].

وهكذا يتضح الهلاك الذي تضمنه قول الرفاعي أن حالهم يتفق مع التتار ولا يتفق مع من كان متمسكًا بنصوص الوحي، وحسبنا ما وجدنا في كتاب ربنا وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام ففيهما الكفاية، ولا يسعنا إلا رد كل أمر إليهما.

---

(٧) ابن باديس حياته وآثاره، د. عمار الطالبي، تقديم مالك بن نبي، ص(٩).
(٨) آثار الشيخ الإبراهيمي، (١/ ١٢٥).
(٩) تفسير المنار، رشيد رضا.
(١٠) تاريخ الجبرتي، (٣/ ٨١-٨٤).

ماذا يريد الليبراليون من ابن عربي ؟

لم يأت حين من الدهر منذ أن عرف ابن عربي، دون أن يكون الرجل مريدوه ومعجبوه وأتباعه، وذلك أمر طبيعي جدا طالما ظل التصوف مساحة في عالمنا، وهي مساحة ظلت تمد وتجزر، لكنها بقيت موجودة، وبقي في جزء معين منها مكان لابن عربي.

بقلم د. أحمد خيري العمري

ابن عربي

وابن عربي مختلف عليه دونما شك، والآراء حوله تتدرج من اعتباره (الشيخ الأكبر) إلى (من شك بكفره فقد كفر)! وقد كفرته طائفة من العلماء؛ منهم العز بن عبدالسلام، وابن حجر العسقلاني، وابن كثير، وابن تيمية، ونقل عن الإمام الذهبي قوله: (ومن أردأ تواليفه كتاب «الفصوص»، فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر!)[1]، بل إن السيوطي الذي لم يكفره، وانتقد من كفَّره؛ عَدَّه بعض العلماء مبتدعًا وحرموا النظر في كتبه!

وبغض النظر عن التكفير أو التبجيل، فإن التيار الإسلامي العام رفض «شطحات» ابن عربي حتى لو لم يكفره من أجلها، وهي شطحات ظلت هجينة عن التراكم الفكري الإسلامي وناشزة عن مجمله، وكان وضوح نشاز بعض هذه الشطحات محرجًا للمدافعين عنه، وقائمة الدفاع تتضمن القول: إن الشطحات مدسوسة عليه «كالعادة!»، وأنه قال في كتبه أشياء أخرى تناقض هذه الشطحات، أو أنهم يعتذرون عن ذلك بتعقيد لغته وغموضها، وبالتالي عدم فهمها كما يجب، والفصل في كفر ابن عربي ـ كشخص ـ أو إيمانه أمر لا يخصنا حتمًا، بل يخص الذي يعلم ما في صدورنا جميعًا، هذا مع العلم أن الكثير من الطرائق الصوفية السائدة حاليًا قد نأت بنفسها عن شطحاته، أو على الأقل عن البعض من مؤلفاته.

إلى هنا والأمر عادي جدًّا، فلغة الرجل المميزة ـ رغم تعقيدها وغزارة مؤلفاته ـ منحت له مكانة معينة ضمن رف معين، له بالتأكيد رواده ومحبوه.

لكن غير العادي إطلاقًا، هو هذا الاهتمام الجديد بابن عربي من قبل تيار ليس بعيدًا عن التصوف فحسب، بل عن الدين ككل، تيار ظل يدعي العقلانية بمفهومها الغربي الديكارتي، الذي لا يؤمن بغير التجربة ومعاييرها الواضحة، لكنه فجأة صار حريصًا على ابن عربي وذوقياته، التي لا يمكن إخضاعها لأي معيار من أي نوع.

هذا الاستحضار الليبرالي ـ العلماني لابن عربي تجلى في كتابات لكتاب ليبراليي التوجه (هاشم صالح، وعبدالوهاب المؤدب، ونصر حامد أبو زيد، وسواهم)، وهو استحضار لا يمكن أن يكون بريئًا البتة، بمعنى أن ابن عربي يبدو هنا غريبًا وشاطحًا حتى أكثر من ذي قبل.

فقبل كل شيء، فإن انتماء ابن عربي إلى منظومة التصوف، ولو في طرف الغلو والشطط منها، سيكون أمرًا مفهومًا داخل هذه المنظومة ككل، أما استحضاره داخل المنظومة الليبرالية، فأمر يشبه إقسار «كارل ماركس» أو «سيجموند فرويد» داخل منظومة الفكر الإسلامي.

والحقيقة أن «شطحات» ابن عربي التي كفره من كفره من أجلها، هي بالذات ما يريده هؤلاء الليبراليون من ابن عربي المستحضر ليبراليًّا، أي: إن موقفهم هنا لا يشبه موقف المدافعين التقليديين، الذين يعتذرون عن شطحاته بهذا العذر أو ذاك، بل في الواقع هم حريصون على تكريس هذه الشطحات وتأكيدها، بل والتركيز عليها والدفاع عنها.

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٢٣/ ٤٨).

ولاشك أن ما يفعله الليبراليون ذكي جدًّا، فهم يدركون أن القارئ المعاصر لا يملك النَفَس اللازم لقراءة مجلدات «الفصوص» و«الفتوحات»، بالذات مع لغة ابن عربي التي تميل إلى الغموض والتعقيد أحيانًا، لذلك فهم يقدمون وجبة سريعة معاصرة من ابن عربي تحتوي على انتقاءات معينة مما قال، وهي انتقاءات مدروسة لخدمة منظومتهم الليبرالية، وتجعل من ابن عربي «حلقة وصل» بين تراكم «محسوب في نهاية الأمر على التراث الإسلامي»، وبين منظومة غربية يحاول الليبراليون منذ عقود إدخالها إلى العقل المسلم وبوسائل شتى وبنجاحات متفاوتة.

ويبدو ابن عربي اليوم وسيلة أخرى من تلك الوسائل، خاصة أن اسمه مدعوم غربيًّا من قِبل دوائر عديدة ومؤسسات بحثية ومراكز دراسات.

يبدأ الليبراليون نهجهم هذا بما يعدونه «مُسلَّمة» لا جدال فيها بينما هي ليست كذلك إطلاقًا، ألا وهي اعتبار ابن عربي (قمة نضج الفكر الإسلامي في مجالاته العديدة؛ من فقه ولاهوت، وفلسفة وتصوف، وعلم تفسير القرآن، وعلوم الحديث واللغة والبلاغة)[٢].

هكذا مرة واحدة وبحسم نهائي يُعتبر ابن عربي قمة نضج الفكر الإسلامي في كل هذه المجالات! ما الدليل على كل هذا؟! سيلقمنا أبو زيد بمستشرقين اثنين يوافقانه على رأيه، أحدهما ياباني والآخر إسباني، وما داما ينتميان إلى المنظومة الغربية، فإنه يستغل عقدة نقصنا تجاههما، ويمرر الأمر كما لو كان «متفقًا عليه» بينما هو على الأغلب في النقيض من ذلك.

سيقول أبو زيد أيضًا بلا مواربة: (إن استدعاء ابن عربي يمثل طلبًا ملحًّا بسبب سيطرة بعض الاتجاهات والرؤى السلفية على مجمل الخطاب الإسلامي في السنوات الثلاثين الأخيرة)[٣]، وبعبارة أخرى فإن صورة ابن عربي «المتطرفة تسامحًا وبلا حدود» هي البديل عن صورة الإرهابي حامل البندقية والسكين، «المتطرفة عنفًا وبلا حدود أيضًا»[٤]، كما لو أن علينا دومًا الاختيار بين واحد من التطرفين، بلا خيار ثالث مستمد من ثوابت وسط للأمة الوسط.

وهكذا سيتم إعادة إنتاج ابن عربي أو تحضير روحه من قبره في السوق الدمشقية القديمة، في حفلة زار عولمية الملامح من أجل أن ينضم صوته لجوقة المصفقين لها ولقيمها، (حتى لو قيل ضمن ما قيل أشياء ضد العولمة ذريًا للرماد في العيون).

وبين كل ما قاله ابن عربي، سيتم التركيز على أمور دون غيرها، ربما كانت أساسية في تكفيره بالنسبة إلى مناهضيه، لكن هذه المرة ليس لتكفيره، بل باعتباره النموذج الذي يجب ترويجه، وهكذا سنرى أبيات ابن عربي التي كثيرًا ما عدت سببًا لكفره، تتحول لتصير معلقة من معلقات الليبراليين الجدد.

هذه الأبيات يحتفي بها الليبراليون؛ لأنها ببساطة (تؤدي إلى تحويل الاعتقاد القرآني إلى اعتقاد نسبي عن طريق إعطاء الصدقية لجميع الأديان، والاعتقادات الأخرى بما فيها الاعتقاد الوثني)[٥]، (وهو يؤدي إلى المصالحة مع فلسفة التنوير على طريقة سبينوزا وفولتير وروسو)، بل الأكثر من هذا يهلل هؤلاء إلى أن هذا ما دفع (المسلمين «المستنيرين» إلى تقبل الرسالة الماسونية)[٦].

إذًا فالهدف من كل هذا الاحتفاء معلن وصريح: تحويل الاعتقاد القرآني إلى اعتقاد نسبي يضع كل المعتقدات ـ حتى الوثنية وأسهل منها الليبرالية ـ في سلة مقبولة واحدة!

لكن هذا الانفتاح غير المشروط على كل العقائد الذي نظر له ابن عربي، سيكون له فيما كتبه شخصيًّا شواهد «عملية» مناقضة، فحينما تكون هناك مواجهة عسكرية بين المسلمين وغيرهم تنتهي بهزيمة المسلمين نجد أن ابن عربي (لا يحتمل رؤية الزور وأهله يعزون والدين القويم ذليل، ويحلم بأن يقام دين محمد، ودين المبطلين يزول)، وهو موقف إنساني وطبيعي تمامًا، لكن الليبراليين هنا يعتذرون لنا، بالنيابة عن الشيخ الأكبر (عن هذا التناقض الذي حوَّل التسامح إلى تعصب)[٧]، فمجرد الرغبة بانتصار الإسلام يصبح تعصبًا يستحق الاعتذار بالنسبة إلى هؤلاء! ولعل هؤلاء كانوا يُفضِّلون لو أن ابن عربي خرج لاستقبال الغزاة بالورود، بالضبط كما روجوا للغزاة الجدد ولطريقة استقبال مُثلى، تحقق عمليًّا قراءتهم المعاصرة لنظرية ابن عربي في التسامح!

رؤية ابن عربي للكفر والإيمان، سيتم أيضًا استخدامها لصالح المنظومة الليبرالية عبر الوجبة السريعة دون أن نتمكن من معرفة إن كانت هذه رؤية ابن عربي حقًّا، أم أنها القراءة الليبرالية لها، وهكذا (فالكفر بمعنى عدم الاعتراف بوجود إله لا وجود له عند ابن عربي، فالكفر بمعنى إنكار وجود الباري ليس إلا صفة عارضة ظهرت ظهور الشرائع السماوية على أيدي الرسل الذين صدقهم البعض وكذبهم البعض، ولولا نزول الشرائع ما كان للكفر أن يظهر، ولكن ذلك لا ينفي حقيقة أن العالم كله مؤمن في الباطن)[٨].

إذًا لا كفر هناك حقًّا، حتى المشرك الذي يعبد الأوثان والأشجار والكواكب ليس كافرًا حسب هذه المنظومة؛ لأنه (يعبد تجليًا من تجليات الله)!

(٢) هكذا تكلم ابن عربي، أبو زيد، ص(٢٤).
(٣) هكذا تكلم ابن عربي، أبو زيد، ص(٢٦).
(٤) هكذا تكلم ابن عربي، أبو زيد، ص(٢٧).
(٥) الانسداد التاريخي، هاشم صالح، ص(١٧١).
(٦) الانسداد التاريخي، هاشم صالح، ص(١٧١).
(٧) هكذا تكلم ابن عربي، أبو زيد، ص(٧١).
(٨) هكذا تكلم ابن عربي، أبو زيد، ص(٧٨).

أبحاث ومقالات

لقد صار قلبي قابلا كل صورة — فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف — ألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت — ركائبه فالحب ديني وإيماني

ماذا عن الملحد الذي يزعم مطلق الكفر ويرفض الانتماء لأي دين؟ حتى هذا «مؤمن رغم أنفه» حسب ما تحاول القراءة الجديدة لابن عربي إقناعنا، (أيُّ إنسان لابد أن يكون مؤمنًا بشيء ما، بمذهب فكري ما، وهذا في باطنه ليس إلا إيمانًا بمجلى من مجالي الحقيقة الإلهية المطلقة)[٩]... حتى الإلحاد، حتى الموقف الفكري الواضح الذي يتضمن الإنكار الصريح لوجود الله تعالى يُعد إيمانًا وفق هذه الرؤية!

ماذا يريد الليبراليون أكثر من هذا؟

فكل ما سينتجونه ـ مهما كان بعيدًا، بل ومناقضًا ومحاربًا للدين وللقيم الدينية ـ سيكون إيمانًا رغم كل النصوص الدينية، بل إن هذا المفهوم سيُنفي مفهوم الكفر من أساسه، رغم تعارض هذا النفي مع القرآن الكريم ووضوح مفهوم الكفر فيه، لكن ستحصره القراءة الليبرالية لابن عربي في هامش ضيق، واضح أن ابن عربي لم يقصده، ولكنهم يقولونه رغم أنفه (لا مجال للتكفير عند شيخنا، فالخطأ يقع فقط حين يزعم الزاعم ـ أيًّا كان ـ أن منظوره للحقيقة هو المنظور الكامل والنهائي)[١٠]!

سيبدو ابن عربي هنا دمية صامتة يحاول الليبراليون عبرها أن يقولوا كل ما يريدون قوله دون أن يتمكنوا من ذلك، بالضبط سيكون وسيلة لشرعنة التفلت الفكري ومن ثم السلوكي، باعتباره رمزًا محسوبًا على التراث الإسلامي، حتى لو كفره أكثر من خمسين عالمًا من رموز هذا التراث!

خلال كل ذلك، سيتضح إلى أي مدى يكون استعداد الليبراليين للتضحية بأبسط مبادئ العقلانية في سبيل تمرير جزء من منظومتهم، فمن أجل أن نروج لابن عربي، سنسكت عن خرافات وترهات كتبها ابن عربي بمنتهى الجدية؛ مثل لقائه المتعدد بالخضر، وعن بساط طائر ...إلخ، وكلام آخر يستحق قائله أن يرسل إلى مشفى الأمراض العقلية لكي يجد حلًا لمشاكله، لا أن يعد (قمة نضج الفكر الإسلامي)، ولكن العقلانية لا تهم، والتفكير السليم لا يهم، ونبذ الخرافات لا يهم، المهم أن نقبل الآخر، أن نتماهى معه، أن نقبل ما ينتجه من أفكار ولو كانت لا تقبل أبسط ثوابتنا، وأن نرتكز على ذلك كله على شخص محسوب على التراث الإسلامي.

أمر أخير، لم يكتف أبو زيد بكل ما سبق، بل تجاوز ذلك إلى ذكر أبيات شعرية تغزل فيها ابن عربي بصبي تونسي، وذكر تفاصيل عن ذلك مثل اسم الصبي وعمره ومهنة والده وما يحبه ولا يحبه[١١]، وبعد أن ينهي هذه التفاصيل، يذكرنا أن هناك دلالات صوفية عميقة للتغزل بالغلمان، ويفوته أن يقول لنا شيئًا من هذه الدلالات!

هل يمكن حقًّا فصل هذا بالذات عما يدور في الغرب من حديث عن «حقوق المثليين» وقوننتها، وارتباط ذلك بقدس الأقداس عند الليبراليين «الحرية الشخصية»، وبالتحديد بشق التفلت والانحلال من هذه الحرية؟

هل تكون هذه التفاصيل إلا لإثبات أن الأمر حقيقي، وأن الشيخ الأكبر كان يتغزل فعلًا بصبي حقيقي وليس بغلام افتراضي؟ وبالتالي لتمرير موضوع الشذوذ الجنسي ولو بشكل غير مباشر؟

ابن عربي، في حفلة الزار الليبرالية هذه، ليس سوى باب من أبواب المشروع التغريبي، كل ما في الأمر أن الباب هذه المرة «ديكور تراثي»!

(٩) هكذا تكلم ابن عربي، أبو زيد، ص(١٩).
(١٠) هكذا تكلم ابن عربي، أبو زيد، ص(٩٦).
(١١) هكذا تكلم ابن عربي، أبو زيد، ص(٤٢).

حياة برزخية يا معاشر الصوفية

د.عطية عدلان

لا ندري لماذا يصر الصوفية على ممارسة هوايتهم الشاذة، التي لم تجلب عليهم - على مدى قرون متطاولة - إلا الاستنكار والاستهجان من جماهير العقلاء، وهي هواية التجديف العبثي البائس في الاتجاه المعاكس لتيار المحكمات، وركوب متن الشطط وإطلاق العنان له؛ ليوغل بهم في شعاب الغرائب وصعاب العجائب.

والشيء الذي يحير الحكيم ويثير الحليم، أن الفكر المتطرف والسلوك المتخلف لهذه الجماعة، يجد له في كل مرحلة من مراحل التاريخ من ينبش عليه تحت أنقاض الجهالات، وينفض عنه التراب، وينفخ فيه ليحيى من جديد، ويدب على ظهر الأرض دبيبه الذي يثير الغثيان.

وفي حياتنا المعاصرة دبت الحياة من جديد في الصوفية، وأفسح لها المجال لتمر بطور جديد في دورة حياتها النكدة، وتمارس دورًا جديدًا في زعزعة الثوابت، والتشويش على المحكمات، والتلويث لسمعة الإسلام.

ومن الأفكار الشاذة التي تتبناها الصوفية المعاصرة وتبثها في الأثير الإسلامي، القول بأن رسول الله ﷺ حي في قبره حياة حقيقية كحياته قبل انتقاله، وأنه من ثَم على اتصال دائم بأمته، يسمع من يستشفع به فينهض للدعاء والشفاعة له، وأنه بالإمكان رؤيته يقظة لا منامًا، كما جرى بزعمهم للأولياء والعارفين.

هذا الاعتقاد الغريب يكاد يكون موضع إجماع لدى الصوفية قديمًا وحديثًا، لكن تباينت طرقهم في الاستدلال عليه؛ فبينما نجد القدماء يتكئون على روايات مرسلة مثل قصة العتبي، نجد أنصار الصوفية المعاصرين يمارسون الضغط على بعض نصوص السنة، عساهم يخرجون منها بدلالات تدعم قولهم وتعطيه وجاهة.

ولدى تصفحي لأقوال هؤلاء المعاصرين من أنصار الصوفية، لفت نظري واستعرى انتباهي ما أدلى به فضيلة الشيخ علي جمعة؛ حيث لم أقع على أدلة للمتصوفة أقوى مما استدل به، ولم أجد للقدماء منهم والمحدثين من القول المحبوك والكلام المسبوك ما وجدته في عرضه لهذه القضية؛ لذا آثرت الاكتفاء بمناقشة أقواله وأدلته.

ففي كتابه الجديد "البيان القويم" يطرح الشيخ هذه القضية[1] ضمن جملة من القضايا التي ينصر فيها الفكر الصوفي، ويستهل طرحه لها بهذا السؤال: هل النبي حي في قبره؟ وما مدى أثر ذلك؟

ثم يجيب مباشرة بأن (النبي ﷺ انتقل من هذه الحياة الدنيا، ولكن بانتقاله هذا لم ينقطع عنا ...)، ثم يستدل على ذلك بحديث: (**حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم**)[2].

(١) انظر البيان القديم لتصحيح بعض المفاهيم، د.علي جمعة، ص(٥-٦).
(٢) مسند البزار، (١٩٢٥)، وضعفه الألباني في السلسة الضعيفة، (٩٧٥).

حياة برزخية يا معاشر الصوفية

د.عطية عدلان

وبعد ذلك ساق الشيخ حديثًا آخر، وهو قول النبي ﷺ: **(ما من أحد يُسلم عليَّ، إلا رد الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام)**[٣]، ثم علق عليه قائلا: (وهذا الحديث يدل على اتصال روحه ببدنه الشريف أبدًا؛ لأنه لا يوجد زمان إلا وهناك من يُسلم على رسول الله ﷺ)[٤].

وظن الشيخ أن ما قدمه يُنتج له ما ادعاه؛ فطربت نفسه وتاق لإكمال الحجة وإتمام البيان؛ فساق الحديث التالي: عن أنس أن النبي ﷺ قال: **(أتيت - وفي رواية مررت - على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره)**[٥]، وأتبعه بحديث: **(الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون)**[٦].

ثم علق قائلًا: (ويدل هذا الحديث على أنهم أحياء بأجسادهم وأرواحهم لذكر المكان؛ حيث قال: (في قبورهم)، ولو كانت الحياة للأرواح فقط لما ذكر مكان حياتهم؛ فهم أحياء في قبورهم حياة حقيقية كحياتهم قبل انتقالهم)[٧].

هذه هي أدلة فضيلة المفتي، ولا أحسب أن لدى الصوفية أدلة أقوى من أدلته، ولا كلامًا أكثر حبكة من كلامه، ومع ذلك فكلام فضيلته ليس صحيحًا، وأدلته التي عرضها لا تثمر النتائج التي ذهب إليها؛ وبيان ذلك كالتالي:

أولا - لا ينازع أحد اطلع على هذه النصوص في أن رسول الله ﷺ حي في قبره، وأنه - كسائر الأنبياء من قبله - يصلي لله فيه، وأن الله تعالى يرد عليه روحه ليرد السلام على من سلَّم عليه من أمته، إلى غير ذلك من الأحوال التي أخبرت بها النصوص النبوية، لكن الذي لا يقبله أحد ولا يرتضيه هو أن نتصور أن هذه الحياة تشبه حياته قبل مماته، وتخضع لنفس القوانين والنواميس والسنن التي تحكم حياة الناس قبل مماتهم؛ لأن في هذا التصور مناقضة ظاهرة لصحيح المنقول وصريح المعقول وللقواعد والأصول.

فرسول الله ﷺ بشر كسائر البشر؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠]، وهو وسائر الأنبياء من قبله من ولد آدم أبي البشر جميعًا؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء: ١].

وبشرية النبي ﷺ التي قررها القرآن، وأكدتها السنة، وصدقها الواقع الذي لا يزيف، والتاريخ الذي لا يكذب، تقتضي أن تشمله وتعمه وتسري عليه القوانين الربانية والسنن الإلهية التي تحكم البشر في جميع مراحلهم التي يمرون بها: الدنيا ثم البرزخ ثم الآخرة؛ لذلك أكد القرآن الكريم على دخول النبي ﷺ تحت قانون الموت؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

هذا هو الأصل الذي يقوِّيه ويزيده ثباتًا ورسوخًا ويؤكد عدم انتقاله لأوهى الأسباب، أنه منبثق من ثبات السنن الإلهية وعدلها، وعدهم محاباتها لأي بشر مهما كان مقامه؛ قال تعالى: ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦٢].

وقد تقرر في أصول ديننا أن المحكمات لا تعارض بالظنيات، وأن الثوابت لا يشوش عليها بمتغيرات الأفهام، والسبيل القويم في معالجة ما يرد من الأدلة الظنية مخالفًا للقطعيات؛ أن نحملها على معاني لا تأتي على الأصل القطعي اليقيني بالإبطال.

فالصحيح أن رسول الله ﷺ: (حي في قبره حياة برزخية، يحصل له بها التنعم في قبره بما أعده الله له من النعيم ... ولم تعد إليه روحه ليصير حيًّا كما كان في دنياه، ولم تتصل به وهو في قبره اتصالا يجعله حيًّا كحياته يوم القيامة، بل هي حياة برزخية وسط بين حياته في الدنيا وحياته في الآخرة)[٨].

وما ورد من أحوال مستثناة اختص بها رسول الله ﷺ: أو شاركه فيها الأنبياء من قبله؛ لا تخرج هذه الحياة عن كونها حياة برزخية، ولا تلحقها بالحياة الدنيا شيء من أحكامها، فغاية ما يمكن أن تناله هذه النصوص من الأصل العام اليقيني هو استثناء بعض الأحوال لا بعض الأشخاص، أما أن تأتي على هذا الأصل بالإبطال فهذا ما لا يمكن أن يقول به عالم يعرف الأصول.

ثانيًا: - هناك نصوص تدل على أن رسول الله ﷺ لا علاقة له بالحياة الدنيا بعد وفاته، ولا علم له إلا بقدر ما يعلمه الله تعالى، وربما دلت على خلاف ما دل عليه حديث (حياتي خير لكم) **مما قد يرجح ضعفه**[٩].

---

(٣) رواه أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، (٢٠٤٣)، وحسنه اللألباني في صحيح سنن أبي داود، (٢٠٤١).

(٤) البيان القويم، د.علي جمعة، ص(٦).

(٥) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى e، (٦٣٠٦).

(٦) رواه أبو يعلى في مسنده، (٣٣٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، (١٧٩٠).

(٧) البيان القويم، د.علي جمعة، ص(٧).

(٨) فتاوي اللجنة الدائمة، (١/ ٤٧٠)، الفتوى رقم (٤٢٨٣).

(٩) ضعفه الألباني، انظر السلسلة الضعيفة، (٩٧٥).

حياة برزخية يا معاشر الصوفية

د.عطية عدلان

من هذه النصوص الحديث المتفق عليه عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ: (**ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب، أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ قال: فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم**)[10].

ثالثًا ـ قول فضيلة الشيخ أن الأنبياء أحياء في قبورهم حياة حقيقية كحياتهم قبل انتقالهم لذكر المكان، حيث قال النبي ﷺ: (**في قبورهم**)؛ هذا القول ظاهر فيه التسرع والمغامرة؛ لأن مجرد ذكر المكان لا يكفي ليكون دليلًا على أن الأنبياء في قبورهم أحياء كحياتهم في الدنيا قبل (انتقالهم) سواء بسواء، وإنما يدل ـ فقط ـ على أن الروح تتعلق بالبدن نوعًا من التعلق لا يعلمه إلا الله، يسمح بوجود الروح والبدن في مكان ما وفي وقت من الأوقات، على هيئة لا يطلع عليها إلا من أطلعه الله تعالى، ولا يلزم من ذلك إلحاق الحياة البرزخية للأنبياء في أحكامها بالحياة الدنيا؛ لأن الروح سر من أسرار الله تعالى، وتعلقها بالبدن في البرزخ يختلف عن تعلقها به في الدنيا وعن تعلقها به في المنام.

واستدلاله بحديث (**ما من أحد يسلم عليَّ، إلا رد الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام**) استدلال غير سديد؛ لأن رد الروح على رسول الله ﷺ مع كل سلام لا يستلزم اتصالها بالبدن الشريف أبدًا كما زعم فضيلة الشيخ، بل إن لفظ الرد دال على أن روحه الشريفة ليست متصلة بالجسد الشريف أبدًا؛ ولو كانت متصلة به أبدًا لما احتاج الأمر إلى ردها إليه مع كل سلام!

رابعًا ـ بالنظر إلى مجمل مقالات الصوفية يتبين أن وراء هذه المزاعم مآلات خطرة، تستوجب سد الذرائع المؤدية إليها؛ فالصوفية عندما يحاولون باستماتة غرس فكرة اتصال النبي ﷺ بأمته وهو في قبره؛ إنما يريدون من وراء هذا الصنيع فتح باب واسع للغلو في النبي ﷺ، والاستغاثة به والتوسل به وهو في قبره، ولاشك أن الاستغاثة برسول الله ﷺ فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك صريح، وأن التوسل بذاته غير مشروع.

ولما ضيق العلماء عليهم وأثبتوا لهم أن التوسل بذات النبي ﷺ ليس على مشروعيته دليل، وأن حديث الاستسقاء بالعباس دليل على أن التوسل المشروع لا يكون بالذات ولا بالجاه، وإنما بالدعاء ـ لما حدث هذا وانقلبت عليهم (الطاولة) راحوا يلتمسون مسلكًا للمشروعية، بإثبات أن النبي ﷺ حي في قبره حياة كحياته قبل وفاته؛ ليتوسل الناس بدعائه وهو في قبره، ثم يكون ذلك ذريعة إلى التوسل بذاته، ثم الاستغاثة به عليه الصلاة والسلام ودعائه من دون الله ﷻ.

وليس هذا الذي نقوله ادعاء ولا إساءة ظن؛ لأنهم أصحاب هذه المزاعم وطالما حاولوا غرسها في الأمة بكل سبيل.

أما إمكانية رؤية النبي ﷺ يقظة فهذه عندهم من المسلمات، وإذا سألت أحدهم: أصحيح أنه يمكن رؤية النبي ﷺ في اليقظة؟ ألقمك حجرًا بقوله لك: (ولم لا؟! أنا شخصيًّا رأيته)، وهو لا يدري أنه بذلك ادعى الصحبة، هكذا فهمها العلماء الأكابر من سلف الأمة، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (الربيع بن محمود المارديني، وكان من مشايخ الصوفية فادعى الصحبة، كذا ذكره الذهبي في الميزان، ويقال: أنه دجال ادعى الصحبة ... قلت: الذي ظهر لي من أمره أن المراد بالصحبة التي ادعاها ما جاء عنه أنه رأى النبي ﷺ في النوم وهو بالمدينة الشريفة، فقال له: (أفلحت دنيا وآخرة)، فادعى أنه بعد أن استيقظ أنه سمعه وهو يقول ذلك)[11].

وقال أيضًا رحمه الله: (... ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة)[12].

وبالطبع هؤلاء العلماء الذين جرحوا من ادعى الرؤية يقظة لم يروا النبي ﷺ يقظة، فهل هؤلاء الأدعياء أزكى من أجلة العلماء؟ ونحن لا نستبعد على المتصوفة أن يدعوا أنهم أزكى وأقرب إلى الله تعالى من العلماء؛ فهم الذين يصرحون دائما بتخلف علماء الرسوم عن رتبة الأولياء أهل الحقيقة! ويقولون لهم: أخذتم علمكم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت!

وقد استدلوا على ذلك برواية من حديث صحيح، وهو قول النبي ﷺ: (**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة**)[13]، ولكن هذا الحديث روي في جميع المواضع بالشك بين ألفاظ متباينة:

---

(١٠) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾، (٤٧٤٠)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، (٧٣٨٠).

(١١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، (١/ ٥١٣).

(١٢) فتح الباري، ابن حجر، (١٢/ ٣٨٥).

(١٣) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام، (٦٩٩٣)، ومسلم، كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ: (من رآني في المنام فقد رآني)، (٦٠٥٧).

حياة برزخية يا معاشر الصوفية

د.عطية عدلان

(فسيراني في اليقظة)، (فقد رآني)[١٤]، (فقد رآني الحق)[١٥]، (لكأنما رآني في اليقظة)[١٦]، ولم ترد بصيغة الجزم إلا في موضع واحد في صحيح البخاري الذي رواها في خمسة مواضع أخرى بصيغة الشك؛ وعندئذ لا تكون رواية الجزم هي المعتمدة؛ لأنها من بين كل الروايات فيها إشكال.

قال الحافظ ابن حجر: (وهذا مشكل جدًّا، ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة [يعني من رأوه يقظة]، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة، ويعكر عليه أن جمعًا جمًّا رأوه في المنام، ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة، وخبر الصادق لا يتخلف)[١٧].

وقال القرطبي: (وهذا يدرك فساده بأوائل العقول، ويلزم عليه ألا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها، وأن يراه رائيان في آن واحد في مكانين، وأن يحيا الآن، ويخرج من قبره، ويمشي في الأسواق، ويخاطب الناس ويخاطبوه، ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده، ولا يبقى في قبره منه شيء، فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب؛ لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل)[١٨].

لذلك اجتهد العلماء في تأويل هذه الرواية، فيقول الإمام النووي رحمه الله في معنى رواية (فسيراني في اليقظة): (فيه أقوال: **أحدها**: أن يراد به أهل عصره، ومعناه: أن من رآه في النوم، ولم يكن هاجر، يوفقه الله للهجرة ورؤيته عليه الصلاة والسلام في اليقظة عيانًا

وثانيها: أنه يرى تصديق تلك الرؤيا في اليقظة ... **ثالثها**: أنه يراه في الآخرة رؤية خاصة، في القرب منه وحصول شفاعته، ونحو ذلك)[١٩].

ومن الأدلة التي عول عليها فضيلة الشيخ علي جمعة القصة المشهورة عن عمر ﷺ، أنه كان يخطب على المنبر يومًا فكشف الله له عن حال سارية قائد جيشه وهو في بلاد نهاوند بفارس، وناداه قائلًا: (يا سارية، الجبل) وسمع سارية النداء[٢٠].

ولا أحسب أن مولانا يجهل أن هذا قياس مع الفارق؛ لأن رؤية عمر لسارية رؤية حي لحي على سبيل الإلهام، وليست رؤية حي لميت في اليقظة عيانًا، كما أن أمثال هذه الحوادث ليست مما يستدل بها على أمر خطير مصادم للشرع والعقل والواقع والنقل.

وسائر النقول التي نقلها من بعض الكتب لا تسعفه، خاصة مع ورود ما أوردناه عن العلماء الراسخين أمثال ابن حجر والنووي والقرطبي، ومن يحترم الشرع والعقل لا يمكن أن يقبل مثل هذا النقل، الذي منه على سبيل المثال: (وسمعت سيدي علي الخواص، يقول: لا يصح خروج شيء من أقوال الأئمة المجتهدين عن الشريعة أبدًا عند أهل الكشف قاطبة؛ وكيف يصح خروجهم عن الشريعة مع اطلاعهم على مواد الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، ومع اجتماع أرواحهم بروح رسول الله ﷺ وسؤاله عن كل شيء توقفوا فيه من الأدلة: هل هذا من قولك رسول الله أم لا؟ أن يدونوه في كتبهم ويدينوا الله تعالى به، ويقولون: يا رسول الله، قد فهمنا كذا من آية كذا فهل ترضاه أم لا؟ ويعملون بمقتضى قوله وإشارته عليه الصلاة والسلام).

فليخبرنا قائل هذا الكلام عن عالم واحد من علماء الشريعة وأئمة الفقه ـ كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ـ أشار في ترجيحه لحكم في مسألة واحدة إلى أنه التقى برسول الله ﷺ، فقوى له ما ضعفه الناس، أو ضعف له ما قواه الناس،

أو عالم من علماء الحديث ـ كالبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي ـ أنه قبل حديثًا رده الناس، أو رد حديثًا قبله الناس؛ لأنه التقى برسول الله ﷺ واستشاره في ذلك.

وإذا كان هذا واقعًا فلماذا أتعب العلماء والمحدثون أنفسهم في الرحلة إلى طلب العلم؟! ولماذا أتعبوا أنفسهم في وضع الأصول والقواعد التي لم يذكروا بينها مشاورة الرسول عليه الصلاة والسلام؟! ولماذا أتعبوا من بعدهم بالطلب الذي أنفقوا فيه أعمارهم؟!

إنها دعوة إلى أخذ الدين عن طريق الأدعياء، الذين يقولون ما تمليه عليهم أهواؤهم، ثم يلبسونه لباس العصمة بنسبته إلى رسول الله ﷺ مباشرة، وإلى تنحية السنة المروية بالأسانيد الصحيحة المتصلة والرغبة عنها إلى رؤى "العارفين!"، وإلى إهمال الاجتهاد وانتظار ما يأتي به الكشف والإلهام.

ألا إننا نبرأ إلى الله من هذا الفكر الصوفي المنحرف، وندعو المسلمين إلى التمسك بهدي المصطفى ﷺ؛ فكل خير في اتباعه وكل شر في تنكب طريقه.

---

(١٤) رواه البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي e، (١١٠).
(١٥) رواه أحمد في مسنده، (٩٤٥٦)، وإسناده صحيح.
(١٦) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في الرؤيا، (٥٠٢٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (٥٠٢٣).
(١٧) فتح الباري، ابن حجر، (١٢/ ٣٨٥).
(١٨) فتح الباري، ابن حجر، (١٢/ ٣٨٤).
(١٩) صحيح مسلم بشرح النووي، (١٥/ ٢٦).
(٢٠) البيان القويم، د.علي جمعة، ص(٩).

مخالفة مصطلحات الصوفية الحقائق اللغوية والشرعية

د.أحمد الشافعي

الحمد لله الذي كرم بني الإنسان ففضلهم بالنطق على سائر الحيوان، وشرف اللسان العربي ببليغ التبيان، وجعل منزلته فوق كل لسان، ويكفي شرفًا أن أنزل به القرآن، الذي خصه الله بفنون القول وناصع البرهان، وأنزله على عبده فلم يجعل له عوجًا، ويسره للناس فادكروه عربًا وعجمًا.

والصلاة والسلام على خير الأنام، النبي العربي من عدنان، الذي علم العرب والعجم بأفصح لسان، بما آتاه الله من جوامع الكلم وحسن البيان، وعلى جميع الصحب والآل ومن تبعهم بإحسان.

وبعد ...

فقد بيَّن لنا رسولنا عليه الصلاة والسلام أن خير الناس قرنه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم صارت فتن وصدع، واستحدثت أمور وبدع، ليس لأصحابها من الله سلطان، ولا أقيم عليها من هدي محمد وصحبه برهان.

ومن جملة ما ابتدع التصوف جملة؛ كسلوك في التقرب إلى الله، وفكر له فلسفة، وقواعد اختلف بها التصوف عن الزهد، الذي كان عليه أفاضل أهل الملة اختلافًا كبيرًا بينًا، حتى غُيرت الشرائع، وحُرف الكتاب عن غير وجه تأويله، وضاعت كثير من أمور الدين ناهيك عن فروعه، بل أبطلوا دعوة الرسل بالكلية بما زعموه من اهتمامهم بعلم الباطن، وترك علم الظاهر الموسوم بعلم الشريعة؛ لأنهم يريدون الوصول - كذبًا مبينًا - إلى الحقيقة.

وقد كانت مصطلحات القوم التي استخدموها في تصوفهم لها دور كبير في تأكيد هذه المخاطر، والغرق في تلك المحظورات؛ إذ قد جاءت مصطلحاتهم تخالف المعقول والمنقول والعرف اللغوي، ومن قبل العرف الشرعي.

ومن العلامات البارزة لتلك المصطلحات أنها اتسمت بكثير من الغموض، إلى حد يصعب فيه - حتى على أرباب الطرق أنفسهم - أن يحددوا على الوجه الدقيق المراد بها، وكأن هذا الغموض أمر مقصود لذاته عندهم حتى لا ينكشف أمرهم، وتنجلي للناس حقيقة مرادهم، سواء أكان حسنًا أو سوءًا، ويبدو أنها كانت شفرات للاتصال بينهم.

وكل عاقل يستنكر على هؤلاء المتصوفة: كيف استساغوا أن يقيموا سلوكهم في الطريق إلى الله على مصطلحات ومقامات وأحوال، ليس لها حظ من ندب الشرع إليها أو إقراره، ولا لمعظمها نصيب من خطاب العقل، أو كفل من لسان البيان.

أليس هؤلاء يزعمون أنهم يتحلون مذهب التصوف ليتقربوا به إلى الله؟ فإذا كان الأمر كذلك، فلم درجوا على السير في سبيل عسر المهلك، ومنهل وعر المسلك، تاركين ما أتى بها الشرع الحنيف بموارده العذبه المأمونة، وظله الوريف، وخاضوا مخاضات شتى يدور طرفها الأول مع البدعة، وقد ينتهي طرفها الأخير مع الإلحاد والحسرة.

وقد كان يلزم هؤلاء إذا أرادوا التقرب إلى الله أن يسلكوا سبيلًا واضحة، منضبطة بالشرع في الأفعال والأقوال والأحوال، وألا يعموا بصطلحاتهم ومقاماتهم؛ فإن هذا خلاف دعوة الرسل والأنبياء، فقد جاء الأنبياء بأنصع بيان وأوضح برهان، وارتادوا لأقوامهم المرعى المربع والطرق الواضحة.

أما هؤلاء المتصوفة فقد خرقوا المعقول، وتجافوا عن المنقول، إلى ما لا يقره في لغات الناس لسان، ولا يعترف به عقل أو جنان، إلا من كان على شاكلة القوم من أصحاب الخرف والهذيان، وإن لم يكن في نقض مذهب التصوف كلية إلا لفساد مصطلحهم لكان ذلك كافيًا في رده، والوقوف مع كل عاقل ضده.

وقد ذكرت في هذا المقال عددًا بسيطًا من مصطلحاتهم تنبيهًا على خطورتها، ولعل أحدًا يقيم عليها دراسة تنتفع بها الأمة، وينزجر بها الجهلة والأثمة، وإليك بعض النماذج:

يتحدث الكاشاني (٧٣٠هـ) في معجم مصطلحات الصوفية، فيقول: (القسم الأول ثمانية وعشرون بابًا) ثم ذكر (باب الألف)،

ثم ذكر أول مصطلح عندهم، وهو مصطلح "الألف"، ثم قال عنه: (يشار به إلى الذات الأحدية، أي الحق من حيث هو أول الأشياء في أزل الآزال)[1].

قلت: وليس أحد من عقلاء بني آدم يعرف من معنى (الألف) إلا دلالته على الحرف المعروف في اللغة، وهو حرف ليس له معنى في ذاته أو بمفرده، مالم ينظم مع غيره؛ ليتكون بذلك كلمة ذات معنى أو مدلول.

قال ابن منظور: (والألف والأليف: حرف هجاء ... وقال الكسائي: الألف من حروف المعجم مؤنثة، وكذلك سائر الحروف، هذا كلام العرب، وإن ذكر جاز)[2]، وهذا عن الحقيقة اللغوية.

أما عن الحقيقة الشرعية، فنحن نطالب أصحاب هذا الرمز أن يدلونا على آية أو حديث تنص على ما زعموه، وهيهات! لكنه قول على بلا علم.

وأي علاقة بين حرف الهجاء الألف، وبين ذات الله سبحانه وتقدس؟ ولم لا يكون العدد واحدًا أولى بذلك؛ حتى يتصور أحد أن هناك علاقة بيَن العدد واحد وبين الذات الأحدية، مع أن هذا أيضًا من الافتراء، والتخرص على الله من دون علم؟! وماذا لو اصطلح جماعة من الناس على أن يرمزوا لله سبحانه وتقدس بألفاظ قبيحة، بحجة أنها مصطلحاتهم التي يتعبدون لله بمقتضاها، هل يصح إقرارهم على ذلك؟

ومن مصطلحاتهم كذلك (الباء) ـ كما يذكر الكاشاني الصوفي ـ ثم يقول: (ويشار بها إلى أول الموجودات الممكنة، وهو الرتبة الثانية من الوجود)[3].

وهذا مما يخالف الحقيقتين: الشرعية واللغوية أيضًا، فمن أخبرهم أن حرف (الباء) يشير إلى الممكنات، أو على حد قولهم: أول الممكنات، هل لديهم بذلك وحي من الله، ومعلوم أن أول ممكن يعرفه أهل الإسلام هو: إما العرش، وإما الماء، وإما القلم، وقد صح الحديث: (أول ما خلق الله القلم)[4]، فأي وجه من الدلالة هنا لتقوم بها علاقة بين حرف الباء، وبين القلم أو غيره مما قيل: إنه أول الممكنات!

وأما على مستوى اللغة، فقد عجزت أن أجد دليلًا لحرف الباء يدل على هذه العلاقة، سواء أكان المقصود به الصوت (الفونيم)، أم كان المقصود به حرفًا من حروف المعاني كحرف الجر (الباء)، ونحن ندعوا الزاعمين ذلك أن يبحثوا في لغة من اللغات عن سبيل لهذه العلاقة، ثم يخبرونا لنضيف هذه اللطائف إلى معاجمنا العربية!

(١) معجم مصطلحات الصوفية، الكاشاني، ص(٤٩).
(٢) لسان العرب، ابن منظور، (٩/ ٩).
(٣) معجم مصطلحات الصوفية، الكاشاني، ص(٦٢).
(٤) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في القدر، (٤٧٠٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (٤٧٠٠).

ومن مصطلحاتهم حرف (الهاء) الضمير المتصل، أو الضمير المنفصل (هو)، يقول الكاشاني[5]: (والهاء هو اعتبار الذات بحسب الظهور والوجود)، (والهو اعتبارها بحسب الغيبة والفقد)، حتى قال ابن عربي: (الهو الغيب الذي لا يصح شهوده).

فأقول ليس في لغة العرب ذكر ضمير ـ سواء أكان منفصلًا أو متصلًا ـ من غير أن يعلم مرجعه، حتى إن حُذف هذا المرجع ـ كما في بعض آي القرآن ـ فإنه لابد من قرينة قالية أو سياقية تدل على المضمر أو المحذوف، وليس ثَم شيء من ذلك، والكلام لا يترك للسامع هكذا من دون توضيح، رهن الحدس والتخمين.

ويرحم الله أبا القاسم السهيلي (٥٨٣هـ)، وقد نبه على مثل هذا بقوله: (فلو أضمر ـ أي المتكلم ـ لاحتاج المخاطب إلى وحي يفسر به ما في نفس المتكلم)[6].

ثم إن هؤلاء المتصوفة يستخدمون الكلمات على غير أوضاعها في لغة العرب، وإلا فمن الذي يعرف من أرباب اللسان العربي كلمة اسمها (الهو)؟

وربما يسارع أحد البسطاء، ويقول: بل أنا أعرف هذا المصطلح، وهو معروف في البداءة والواقع، وذلك عندما ترى الكلاب ـ عذرًا أيها القاري ـ لصًّا؛ فيعلو نباحها، فإننا نسمعها تصيح بلفظ: «هو، هو».

قلت: إن كان الأمر كذلك فلا بأس أن نقبل هذا المصطلح، على أن يعلم القوم أن قولهم هذا من جنس نباح الكلاب، مع أن هذا غير مستقيم؛ لأن حديثنا مع هؤلاء عن لفظ (الهو)، المتصل (بأل) التعريفية، والمضبوط بضم الهاء لا بفتحها، ومن دون تكرير.

فإن قيل: المراد من ذلك ضمير الغائب في العربية (هو)، قلت: لا يزال السؤال مطروحًا: هل رأيتم في كتب لغة ـ على كثرتها ـ لفظًا بهذه الصورة (الهو)؟

وهذا السؤال ليس غرضه الاستفهام، فإننا لا نجهل الإجابة، بل غرض السؤال بلاغي؛ وهو النفي والاستنكار والتعجب والتوبيخ و... إلخ.

وخلاصة الأمر أن هذا التركيب أو اللفظ خطأ في العربية؛ لأن الاسم (هو): ضمير، والضمائر معارف، وقد جعل بعض النحاة الضمائر من أعرف المعارف، فكيف ـ والحال هذه ـ يدخل هؤلاء الصوفية حرف تعريف هو (أل) على كلمة موسومة بأنها من أعرف المعارف؟! لكن الجهل يفعل بصاحبه أشد من هذا.

ومن مصطلحات القوم (الفناء)، وهذا اللفظ من أخطر مصطلحاتهم، وقد جرهم هذا المصطلح إلى الدخول في غيابات الشرك؛ حتى جعلوا التوحيد هو عين الشرك، واستمع إلى الكاشاني وهو يعرف مصطلح الفناء، فيقول: (زوال الرسوم بالكلية في عين

(٥) معجم مصطلحات الصوفية، الكاشاني، ص(٧١).
(٦) نتائج الفكر، أبو القاسم السهيلي، ص(٢٦٣).

الذات الأحدية، مع ارتفاع الاثنينية)[٧]، وقيل: (هو الغيبة عن الأشياء)، وقيل: (هو التلاشي بالحق)[٨].

على أية حال فالعلماء يقسمون فناءهم هذا إلى أقسام ثلاثة:

الأول: الفناء عن وجود السوى.

الثاني: الفناء عن شهود السوى.

الثالث: الفناء عن إرادة السوى.

وقبل بيان خطر هذه المصطلحات من قبل الشرع، فإنني أنبه على مخالفة هذه التراكيب للغة العرب، وبيانه أنه ليس في كلام العرب كلمة تسمى (السوى)، بل هذا اللفظ لكنة في لسان العرب، والصوفية أرادوا أن يعربوا عن مقاماتهم بصطلحاتهم، فأعجموها.

ومن شاء أن يراجع كتب اللغة مثل: العين أو التهذيب أو الصحاح أو المصباح أو المحكم أو اللسان أو التاج والقاموس أو كتب الغريب أو غير ذلك ـ فليفعل، ولن يجد كلمة بهذه الصورة، هكذا «السوى».

لأن القاعدة اللغوية أن لفظ (سوى) من الألفاظ التي تلزم الإضافة، وهو اسم غير متمكن، ولا تستخدم مع حرف التعريف (أل)، إلا أن يكون الاستعمال شاذًا، ويبدو أن الصوفية يحفلون بالشواذ!

أما من الجهة الشرعية؛ فإن هذه المصطلحات كغيرها مبتدعة، لم يستعملها الشارع لا في كتاب ولا في سنة، ولا وردت عن أزهد الناس: وهم محمد ﷺ وحزبه.

وأكثر أهل التصوف يظلون في النوعين: الأول والثاني، وهما الفناء عن وجود السوى، والفناء عن شهود السوى، وأكثر هذه الكثرة يجعلون غايتهم الفناء عن شهود السوى.

والمقصود بالأول: هو الفناء في الذات؛ فلا يرى السالك فرقًا بين العبد وبين الرب، بل يرى أن الواجد هو الموجود عينه، فلا يرى اثنينية كما يقول الكاشاني، وهذا هو القول بوحدة الوجود، وإذا لم يكن هذا هو الكفر فليس في الأرض كفر يُعرف!

وقد قال ابن القيم عن هذا النوع: (هو فناء الملاحدة ... وأن غاية العارفين والسالكين الفناء في الوحدة المطلقة، ونفي التكثر ... فلا يشهد غيرا أصلًا، بل يشهد وجود العبد عين وجود الرب ... وهؤلاء يرون التوحيد هو الشرك)[٩].

والمقصود بالثاني: الفناء عن شهود السوى، فيه الاستهلاك في الذات بالكلية، فلا يرى العبد غيرها، وفيها تسقط التكاليف؛ فلا يرى السالك على نفسه لله أمرًا ولا نهيًا، وقد قال عنها ابن القيم: (فهو المقام الذي يشير إليه أكثر الصوفية المتأخرين، ويعدونه غاية

(٧) معجم مصطلحات الصوفية، الكاشاني، ص(٣٦٥).
(٨) عوارف المعارف، السهرودي، ص(٣٠٥).
(٩) مدارج السالكين، ابن القيم، (١/ ١١٣).

... وقد يسمى حال مثل هذا اصطلاحًا، ومحوًا، وجمعًا)[١٠]، وتلك مصطلحات جرَّت على أصحابها أنواعًا من البلاءات.

أما النوع الثالث، وهو الفناء عن إرادة السوى فهو ـ وإن كان محمودًا ـ لا يعرفه أكثر السالكين.

ومن مصطلحاتهم (الأوتاد) يعرفه الكاشاني بقوله: (هم الرجال الأربعة الذين هم على منازل الجهات الأربع في العالم: الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب، يحفظ الله تعالى تلك الجهات لكونهم محال نظره تعالى).

وكذلك مصطلح (الإمامان): (وهما الشخصان اللذان أحدهما عن يمين الغوث، أي القطب، ونظره في الملكوت ـ يقصدون الغيب ـ والآخر عن يساره، ونظره في الملك ـ يقصدون عالم الشهادة ـ وهي أعلى من صاحبه، وهو الذي يخلف القطب).

وهذا الكلام لا يخرج إلا من رجل لا يعرف ما يقول، أو يهرف بما لا يعرف، فهل يعلم، وينظر في الغيب والشهادة أحد إلا الله ﷻ؛ قال الله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [التغابن: ١٨]، وكيف تجرَّأ هؤلاء، وجعلوا ينازعون الله في ربوبيته على خلقه، وإذا كان الإمامان، والأوتاد هم الذين بهم تحفظ الدنيا، فماذا أبقوا لله؟!

لكن هؤلاء كذبوا، وصدق الله: ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [المائدة: ٤٠]، لكن يبدو أن القوم لا يريدون أن يعلموا.

وإذا كان الله يحفظ العالم ـ بزعم الصوفية ـ لأن الأقطاب الأربعة يجلسون في جهات العالم الأربع فينظر الله إليهم، فيحفظ هذه الجهات الأربع، فماذا لو مرض أحدهم وأراد أن يذهب يتطبب، هل تضيع المخلوقات في هذه الجهة من العالم لعدم وجود الوتد؟! وماذا لو عصوا ربهم ـ لأنهم ليسوا بمعصومين ـ هل تبقى لهم الكرامة مع العصيان؟! ثم ماذا لو مات الإمامان، والأوتاد هل يهلك الناس، وتسقط السماء على الأرض؟!

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هذه هي الحقائق الناصعة عند كل مسلم عاقل، لكن القلب يعمى كما يعمى البصر! إلى: (أسماء الله المتقابلة، كالفاعلة والقابلة)[١١].

ومن خرافاتهم مصطلح (اليدان)، يرمزون به كما يزعم الكاشاني وهذا من بدعهم؛ فاليد في اللغة عضو معروف: هي الكف، وهي أنثى محذوفة اللام، وزنها (فعل) = يدي، فحذفت الياء تخفيفًا؛ فاعتقبت حركة اللام على الدال، ولليد دلالات أخرى ذكرها اللغويون، لكن

(١٠) مدارج السالكين، ابن القيم، (١/ ١٥٥).
(١١) معجم مصطلحات الصوفية، الكاشاني، ص(٨٧).

ليس في جميعها ما يدل على أسماء الله الحسنى المتقابلة أو غير المتقابلة كما يزعم أهل التصوف، سواء أكان ذلك على الأصل اللغوي أم كان ذلك على العرف اللغوي المستخدم (المجاز).

ويطول معنا أمر هذه المصطلحات التي تؤكد ما قررناه: أنه ليس لأكثرها نسب في الشرع، ولا في اللغة أو العقل، ولعل القارئ يجد هذه الحقيقة في المصطلح الذي ينتسبون إليه ـ رأسًا ـ وهو مصطلح (التصوف)؛ إذ لا يعرف لهذا الاسم وجود في آي الكتاب العزيز، ولا في السنة، ولا في قول الأصحاب، ويزداد عجبك إن علمت أن الصوفية أنفسهم يعجزون عن الجزم أو القطع بوجه النسبة في هذا المصطلح، وهذا من تمام الخزي؛ مما يبرهن لك على الحقيقة التي يتنكر لها هؤلاء، وهي أن التصوف ـ ولا أقصد الزهد ـ مذهب دخيل على دين الإسلام، وليس الخطب مقصورًا فقط على خطورة المصطلحات الصوفية، مع أنه إن لم يكن من مفاسد التصوف إلا طامات مصطلحاته ومقامات السالكين عليها، لكان ذلك كافيًا في نقضه، ووقوف العقلاء ضده.

ولو سألت أحدهم: إلى أي شيء تكون النسبة في كلمة (التصوف)؟ لربما انتخى، وقال في غرور ومكابرة: نحن ننتسب إلى أهل الصفة من أصحاب النبي ﷺ!

وتلك إجابة لا يقضي بها شرع ولا تعضدها لغة، فإن التصوف المذهبي هذا لم يعرفه أحد من أصحاب النبي ﷺ، فكيف ينسبون أنفسهم إليهم؟!

وقواعد التصريف تأبى أن تكون النسبة في كلمة (الصوفي) هي (الصفة)، والصواب أنك إذا نسبت إلى: الصفة قلت: الصفي، بحذف تاء التأنيث، وإضافة ياء النسب المشددة، كما هو الأمر في أمثالها في العربية، فتقول في النسبة ـ مثلًا ـ إلى (السرة): السري، ولا تقول: السروي.

فلما علموا بطلان ذلك لغة وشرعًا، قالوا: ننتسب إلى الصف الأول المقدم بين يدي الله، قلت: تلك أشد من الأولى؛ فمن أين لكم معاشر المتصوفة معرفة الغيب بأنكم المقدمون بين يدي الله؟! وليست النسبة اللغوية بصحيحة أيضًا؛ إذ الصواب أن يقال في النسبة إلى (الصف): الصفي، ولا يقال: الصوفي، وهذا كما أنك إذا نسبت إلى (مكة) قلت: مكي، ولا تقل مكوي.

فيشعر الصوفي أنه سقط في يده فيبحث عن شيء يتمالك به نفسه، ويثبت به جذوره؛ فيتعلق بنسبة هي أو هى من بيت العنكبوت، فيقولون: نحن لنا تاريخ ممتد في غابر الزمان، حتى قبل مجيء الإسلام؛ إذ أننا ننتسب إلى (صوفة بن بشر بن أد بن طانجة)، قبيلة من العرب، كانوا يجاورون في مكة، ينسب إليها النساك.

قلنا لهم: لا بأس بصحة نسب الصوفية إلى (صوفة)؛ فهي توافق قواعد التصريف،لكن أي شرف في النسبة إلى الجاهلية، هل ضاق مذهب هؤلاء أن يأتسوا بآية من القرآن أو بسنة من السنن، أو بأثر من آثار الصحابة حتى يترنموا بالنسبة إلى أهل الجاهلية، ويجعلوهم قدوتهم، وعلى أية حال فكل تابع ومتبوعه، وكل شاة برجلها تناط.

فقالوا: بل ننتسب إلى الصفوة من الخلق، قلت: ليست هذه بأحق من أخواتها السوابق، فلا لغة تؤيدها، ولا شرع يقرها؛ فالنسبة إلى الصفوة: الصفوي، أجارنا الله، وإياكم من (الصفويين)، وأذنابهم الروافض.

ونسبتهم إلى صفوة الخلق هي دعوى بلا برهان، وكل من يدعي دعوى يلزمه إقامة الدليل على صحة ما يدعيه،وإلا فما أكثر الأدعياء، ومن يعتنق حبل الدعاوى ترده، والبينة على المدعي، ولا يزال الشيعة الروافض يصكون مسامعنا ـ كذبًا وزورًا ـ أنهم الأطهار الأشراف، وغيرهم الأراذل والأوباش، وهيهات.

فلما فل عزمهم، وانكسرت شوكتهم؛ قالوا لنا: نحن ننتسب إلى لبس الصوف تشبهًا بالمسيح، فقد بلغنا أنه كان يلبس الصوف.

قلت: سبحان الله، وأي مزية أو محمدة في لباس الصوفحتى ينتسبوا إليه، ويعمدوا إلى لبسه؟

وقد ورد عن السلف النكير على هؤلاء المتزينين بتلك التزية؛ لما وجدوا منهم القصد إلى ذلك، حتى قال الأوزاعي رحمه الله عن لباس الصوف في الحضر: (بدعة).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (روينا عن محمد قال: أظن هؤلاء بلغهم أن المسيح كان يلبس الصوف، فلبسوه لذلك)، ثم قال: (وتأمل فهم هؤلاء الأكابر وهدي نبينا أحب إلينا من هدي غيره)، ثم قال ابن تيمية: (لبس الصوف ـ عبادة وطريقًا إلى الله ـ بدعة، وأما لبسه للحاجة، والانتفاع به للفقير لعدم غيره ... فهو حسن مشروع)[١٢].

وبالجملة فإن الفساد الظاهر في أصل النسبة في مصطلحهم الذي ينتسبون إليه، يؤكد لك عدم أصالة هذا المصطلح؛ قال شيخ الإسلام: (إنه لم يكن مشهورًا في القرون الثلاثة الأولى، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك)[١٣]، وفيه إشارة إلى فساد مسلك هؤلاء الصوفية، فضلًا عن فساد بقية مصطلحاتهم الغامضة المخالفة للمعقول والمنقول ولسان العرب المنطوق.

والصواب أنه يلزم المسلم السوي أن يؤمن بأن خير القال قول الله، وأفضل الهدي هدي محمد ﷺ، وأزكى المسالك ما كان عليه النبي وأصحابه.

فهل يقبل إخواننا المسلمون من أهل التصوف على التمسك الحقيقي من غير مزايدة، ولا مخادعة بهدي شريعة الإسلام في الأقوال والأفعال، وأن يجتنبوا بدع القول والفعل؟ أتمنى أن تكون الإجابة، كما علمنا القرآن: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١] وهذا ظننا في إخواننا.

(١٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، (١١/ ٥٥٥).
(١٣) مجموع فتاوى ابن تيمية، (١١/ ٥).

حماية الدين من التصوف

رفاعي سرور

الصوفية هي الخطة القديمة الثابتة في الالتفاف حول الدين الصحيح لتبديله بكل مقوماته بالإفساد والتحريف، وأساس هذه الخطة هو تجاوز المفاهيم الصحيحة الدين والقفز فوقها؛ حيث تتبنى الصوفية غاية الدين، بينما تكون زاوية الانحراف الصوفي هي هذا التجاوز الضال.

وهذه بعض نماذج المقومات التي ينكشف بها خطر التصوف على الدين ومقوماته الأساسية وأولها:

الحجة الشرعية: "النص والتفسير السلفي له":

حيث كان الالتفاف الصوفي حولها بالزعم بأن هناك حقيقة وشريعة، وأن الشريعة لعامة المسلمين وأن الحقيقة لهم خاصة، وهو ما يسمونه: "العلم اللدُّني".

وباعتبار أن القرآن هو النص الأساسي للحجة الشرعية؛ كان التفسير الرمزي للقرآن هو الأسلوب الصوفي للالتفاف حول فهمه، وهو ما يعرف بالتفسير الرمزي للقرآن[1].

وكما كان القرآن نصًّا شرعيًّا للحجة كذلك كان الحديث، وكان الالتفاف الصوفي حول "علم الحديث" هو زعم الرواية عن الله بغير طريق الرسول عليه الصلاة والسلام، ولهم في ذلك عبارة مشهورة فيقولون: "حدثني قلبي عن ربي"، كما يقولون: "حدثني شيخي عن رسول الله ﷺ ..."!

وكما كان القرآن والحديث هما أساس الحجة كانت الأحكام الفقهية كذلك، وكان الالتفاف الصوفي حول الأحكام بالأحلام، وهي من أخطر الأساليب في هدم الدين، كما حدث عند النصارى من خلال بولس، الذي كانت بداية دعوته لهدم رسالة عيسى عليه السلام حلمًا رآه.

ومن الالتفاف حول الحجة الشرعية يكون الالتفاف حول آثارها، وأولها اليقين، حيث يكون الالتفاف حوله بالخوارق التي تُحدِث تسليمًا نفسيًّا بالباطل.

وفي مواجهة الالتفاف بالخوارق الصوفية حول اليقين الشرعي تأتي قاعدة أهل السنة والجماعة في التعامل مع الخوارق والأحلام، والتي يقررها الإمام ابن تيمية فيقول: (الكتاب والسنة والإجماع، وبإزائه لقوم آخرين المنامات والإسرائيليات والحكايات، وذلك أن الحق الذي لا باطل فيه هو ما جاءت به الرسل عن الله)[2].

ويقول: (كل من خالف شيئًا مما جاء به الرسول مقلدًا في ذلك لمن يظن أنه ولي الله، وأن ولي الله لا يخالف الله ورسوله في شيء، ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله كأكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان، لم يُقبل منه ما خالف الكتاب والسنة؛ فكيف إذا لم يكن كذلك؟!

وتجد كثيرًا من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه وليًّا لله أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور، أو بعض التصرفات الخارقة للعادة... بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن، وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة)[3].

وبهذه القاعدة السلفية حسمت مسألة الخوارق كمدخل صوفي لتحريف الدين، وهذه القاعدة بذاتها واردة في التوراة حماية لليهودية والنصرانية، ولكنها لم تنفعهم وتمنعهم من الضلال، فتذكر التوراة أنه لو دعا نبي إلى عبادة غير الله يقتل، وإن كان ذا معجزات عظيمة: (إِذَا ظَهَرَ بَيْنَكُمْ نَبِيٌّ أَوْ صَاحِبُ أَحْلاَمٍ، وَتَنَبَّأَ بِوُقُوعِ آيَةٍ أَوْ أُعْجُوبَةٍ. ٢ فَتَحَقَّقَتْ تِلْكَ الآيَةُ أَوِ الأُعْجُوبَةُ الَّتِي تَنَبَّأَ بِهَا، ثُمَّ قَالَ: هَلُمَّ نَذْهَبْ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا وَنَعْبُدْهَا. ٣ فَلاَ تُصْغُوا إِلَى كَلاَمِ ذَلِكَ النَّبِيِّ أَوْ صَاحِبِ الأَحْلاَمِ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ يُجَرِّبُكُمْ لِيَرَى إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَهُ مِنْ

---

(١) وليس أدل على خطورة التفسير الرمزي من مطالبة الفاتيكان المسلمين بالتفسير الرمزي للقرآن؛ لإضلال المسلمين كما ضلوا هم به من قبل، ويقول البيان الصادر عن الفاتيكان: (إن المطلوب هو إعادة تفسير القرآن الكريم بصورة رمزية وليست أصولية، وذلك وفقًا لوجهة نظر المتصوفة الكاثوليك، و«المفكرون الجدد للإسلام»).

ثم تتمثل الشيطنة في مد الفاتيكان للصوفية في الغرب بكل التأييد والإمكانيات، ويأتي تفسير إعجاب الرئيس الأمريكي بأشعار جلال الدين الرومي ودروشة السفير الأمريكي «المصطنعة» ودورانه حول الموالد.

لمزيد من المعلومات حول هذه النقطة يرجى الرجوع لتقرير راند: «شبكة إسلامية معتدلة»، وكذلك كتاب: «التنصير .. وثائق مؤتمر كلورادو».

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، (١٩/ ٥).

(٣) أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، ص(٦٢).

كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ.... ٥ أَمَّا ذَلِكَ النَّبِيُّ أَوِ الْحَالِمُ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ) سفر التثنية [١٣: ١-٥].

وكذلك يكون الالتفاف حول اليقين بالتذوق والتجارب، ولما كان أثر الإيمان هو الطعم والحلاوة التف الشيطان حول هذا الأثر بالتذوق والتجارب، لذا؛ يجب التفريق بين طعم الإيمان الصحيح وتذوق الصوفية الكاذب، وتزيين سوء العمل، وهوى النفس، وتجانس الشبهة مع الشهوة، وعجز القلب عن التفريق بين المعروف والمنكر، فكل ذلك يحدث ذوقًا شيطانيًّا لا ينفع معه نص أو حجة.

والقلب السليم هو الحد بين حلاوة الإيمان وذوق الشيطان، يكون النص الواحد هدى وشفاء للمؤمنين، وعمى وضلالًا للكافرين، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤].

ومن هنا كان تعريف القلب السليم: أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره، فسَلِمَ من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله، فسَلِمَ في محبة الله مع تحكيمه لرسوله في خوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه، والذل له وإيثار مرضاته في كل حال، والتباعد من سخطه بكل طريق، وهذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده.

الالتفاف حول الخوف والرجاء، وهما أهم آثار الدين في القلب، وفيه يقول ابن القيم: (القلب في سيره إلى الله ﷻ بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران ... وأكمل الأحوال: اعتدال الرجاء والخوف وغلبة الحب، فالمحبة هي المركب، والرجاء حادٍ، والخوف سائق، والله الموصل بمنه وكرمه)[٤].

ولكن في التصوف يأتي الشيطان ليزايد على الخوف والرجاء بزعم علاقة بين العبد وربه تفوقهما وتعلوا عليهما[٥]، والحقيقة أن الإسلام يعتبر أن الخوف والرجاء لا يخرجان عن علاقة العبد بالله ﷻ بلا تناقض، بدليل ما ورد عن أم المؤمنين عائشة حيث قالت: كنت نائمة إلى جنب رسول الله ﷺ ففقدته من الليل؛ فلمسته فوقعت يدي على قدميه وهو ساجد، وهو يقول: **(أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)**[٦].

كما يعتبر الإسلام أن مقام حب الله ورضاه هو نفسه مقام الخوف والرجاء، وهو نفسه مقام الطمع في الجنة والخوف من النار، حيث لا يتم الرضا الرباني الكامل إلا في الجنة، بدليل قول الله لأهل الجنة: **(يا أهل الجنة، فيقولون: لبَّيْك ربنا وسَعدَيك،**

(٤) مدارج السالكين، ابن القيم، (١/ ٥١٧).
(٥) مثلما كان الأمر عند رابعة العدوية التي يتحدث الناس بقولها: (أنا لا أعبدك خوفًا من نارك ولا طمعًا في جنتك، ولكن حبًّا في ذاتك)، وسواء قالتها أو لم تقلها، فالمهم ترديدها الدال على استقرار مفهوم العبارة بينهم.
(٦) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه، (٣٨٣١)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٣٤٩٣).

والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا، وقد أعطيتَنا ما لم تُعْطِ أحدًا من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأيُّ شيء أفضل؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا)[٧].

الالتفاف حول العبادة بمقام الوصول وإسقاط التكليف، ويفسرون قول الله: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] بإسقاط التكليف بمجرد توهم اليقين، بينما اليقين هنا هو الموت، كما قال العبد الصالح: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١][٨].

والتعبير عن الموت باليقين يتناسب مع كمال العبادة وهو الإحسان؛ لأنها لا تكون إلا باليقين، كما قال رسول الله ﷺ في تفسير الإحسان: **(أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**[٩].

ومن طرائف الصوفية حول هذا الحديث، أنهم يتوقفون في قراءته على كلمة: **(فإن لم تكن)**، ثم يستأنفون: **(تراه)**، قاصدين بذلك أن كلمة **(إن لم تكن)** تعني الفناء الذي تتبعه المكاشفة، متمثلة في كلمة: **(تراه)**، وهو من تلاعب الشيطان بعقولهم.

الالتفاف حول التقرب بالتوحد والفناء، والحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، يقول الله تعالى: **(من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)**[١٠]، وفي رواية بعد قوله **(ورجله التي يمشي بها)**: **(فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي)**[١١].

وفي هذا الحديث يقول الإمام ابن تيمية: (وهذا الحديث قد يحتج به القائلون بالحلول العام، أو الاتحاد العام، أو وحدة الوجود، وقد يحتج به من يقول بالخاص من ذلك كأشباه النصارى، والحديث حجة على الفريقين فإنه قال: **(من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب)**.

فأثبت ثلاثةً: "وليًّا له"، و"عدوًّا يعادي وليَّه"، وميز بين "نفسه" وبين "وليه" و"عدو وليه"، فقال: **(من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب)**.

فدل ذلك على أن وليَّه: هو الذي والاه فصار يحب ما يحب، ويبغض ما يبغض، ويوالي من يوالي، ويعادي من يعادي، فيكون الرب مؤذنًا بالحرب لمن عاداه بأنه معادٍ لله.

ثم قال تعالى: **(وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضتُ عليه)**، ففرق بين العبد المتقرِّب والرب المتقرَّب إليه، ثم قال:

(٧) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، (٧٥١٨)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدًا، (٧٣١٨).
(٨) تفسير القرطبي، (١٠/ ٦٤).
(٩) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، (٥٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، (١٠٢).
(١٠) رواه البخاري، كتاب الرقائق، باب التواضع، (٦٥٠٢).
(١١) ذكرها ابن كثير في تفسيره، (٤/ ٥٩٠)، وصححها الألباني في كلمة الإخلاص، ص(٣٤).

(**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه**)، فبيَّن أنه يحبه بعد تقربه بالنوافل والفرائض، ثم قال: (**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**)، وعند أهل الحلول والاتحاد العام أو الوحدة هو صدره وبطنه وظهره ورأسه وشعره، وهو كل شيء، أو في كل شيء، قبل التقرب وبعده، وعند الخاص وأهل الحلول صار هو وهو كالنار والحديد، والماء واللبن[١٢]، لا يختص بذلك آلة الإدراك والفعل!!

ثم قال تعالى: (**فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي**)، وعلى قول هؤلاء: الرب هو الذي يسمع ويبصر ويبطش ويمشي، والرسول إنما قال: (فبي)، ثم قال: (**ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**) فجعل العبدَ سائلا مستعيذًا، والرب مسئولًا مُستعاذًا به، وهذا يناقض الاتحاد.

وقوله: (**فبي يسمع**) مثل قوله: (**أنا مع عبدي ما ذكرني، وتحركت بي شفتاه**)[١٣] يريد به "**المثال العلمي**"[١٤]، فيكون الله في قلبه، أي: معرفته ومحبته وهداه وموالاته، وهو "المثل العلمي"، فبذاك الذي في قلبه يسمع ويبصر، ويبطش ويمشي)[١٥].

وقوله تعالى فيما حكاه عنه رسولُه: (**يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني ... يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني**)[١٦]، ويشبهه قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠].

الالتفاف حول الجماعة بالعهد والطريقة والأوراد الخاصة، وتتبين دقة الالتفاف من أن تكون عناصر الطريقة مستوعبة لكل عناصر الانتماء والولاء للأمة بحيث يستغني المتصوف بطريقته عن أمته.

وابتداع الأذكار الخاصة بكل طريقة «الأوراد» هو الذي يغذي في إحساس الفرد الصوفي شعور التميز، الذي يحقق له شعور الانفصال عن الأمة، ومن هنا كان حرص رسول الله ﷺ على التزام ألفاظ الذكر، حتى راجع صحابيًّا قال لفظ: "رسولك" بدلًا من "نبيك"، روى البخاري من حديث البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال له: (**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به**)، قال فرددتها على النبي e فلما بلغت (**اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت**)، قلت: ورسولك، قال: (**لا ، ونبيك الذي أرسلت**)[١٧].

ولعلنا ندرك خطورة ابتداع الأذكار والأوراد وأثره في الانفصال عن الأمة، إذا أدركنا قوة التلازم بين الذكر وحقيقة الإحساس بمعنى الأمة في كيان المسلم، وهو ما تؤكده هذه الآية: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

فكل أمة تتميز بمناسكها، التي تحقق هويتها وتؤكد انتماءها، وكل منسك له ذكره، حتى أن الآيات تؤكد أن الذكر هو العلة الأساسية لوجود المناسك: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾.

والأمة: أهل الدين الذين اشتركوا في اتباعه، والمراد: أن المسلمين لهم منسك واحد وهو البيت العتيق، ومن هنا جاء وصف الأمة في الآية التي بعدها بقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٥].

وبقدر التزام الأمة بتعظيم شعائر الله، وتحقق التقوى كثمرة نهائية للذكر والمناسك؛ يكون دفاع الله عن هذه الأمة: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٦-٣٧]، ومن هنا كانت الذبائح التي يذكر عليها اسم الله من أهم عناصر إثبات الهوية الإسلامية، وفيه قول رسول الله ﷺ: (**من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله،؛ فلا تخفروا الله في ذمته**)[١٨].

ولذلك؛ جاء بعد تميز الأمة بمناسكها وأذكارها آية الدفاع الإلهي عنها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٨-٣٩].

من نماذج الالتفاف الصوفي حول مقومات الدين، يتبين أن التصوف ليس حركة روحية، وإنما هو برنامج تحريفي، يتعامل مع أصل الدين لتحويله عن جوهره وتضيعه كصبغة ربانية، مرتكزًا على دوافع و دواخل النفس لتسقط في أوحال الضلال بوهم التحليق في طبقات الخواص والمقربين، ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

---

(١٢) ولعلنا نلاحظ أن المثل الذي استخدمه ابن تيمية للتعبير عن تصور أهل الحلول والاتحاد بقوله: (كالنار والحديد، والماء واللبن) هو نفس المثل الذي يستخدمه النصارى في بدعة التجسد.

(١٣) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾، (٤٣).

(١٤) لعلنا نلاحظ تكرار كلمة «المثال العلمي» في كلام ابن تيمية؛ لذا كان من المهم فهمها، ومعناه أقصى درجة إدراك وإحساس بالحقيقة الخارجية في قلب الإنسان وعقله.

(١٥) القول الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، (٣/ ٣٣٥-٣٣٦).

(١٦) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، (٦٧٢١).

(١٧) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء، (٢٤٧).

(١٨) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، (٣٩١).

كيف نحارب البدع في بيوتنا

جيهان أبو زيد

إذا كان صلاح الفرد هو الهدف الأول والخطوة الأولى نحو بناء المجتمع الإسلامي المنشود؛ فإن الأسرة بلاشك هي حجر الزاوية في هذا المجتمع، فالله ﷻ علق التغيير المرجو على صلاح "القوم"، وليس فقط مجرد صلاح الفرد؛ فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وعلى ذلك فإن بيوتنا يجب أن تكون في مقدمة تلك البيوت التي تقود المجتمع إلى الله ﷻ، وهي القاطرة التي تأتي من ورائها الأسر كلها لتكون تلك المنظومة الربانية، وليأتي التغيير الذي وعد به الحق ﷻ.

وحتى تكون بيوتنا كذلك يجب أن نحصنها من الوقوع في براثن البدع والخرافات، وأن نلزمها طريق السنة الذي هو طريق الهداية والتوفيق والسداد في الدنيا والآخرة، ومن هنا كان لابد لها من منهج قويم في هذا الصدد، يبدأ بمعرفة معنى البدع التي نحاربها، ثم بيان الوسائل التي يمكن من خلالها التصدي للبدع داخل بيوتنا ومنع انتشارها.

في بيان معنى البدعة لغة وشرعًا[1]:

أصل مادة «بدع» للاختراع على غير مثال سابق، ومنه قول الله تعالى ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، أي مخترعهما من غير مثال سابق متقدم، وقوله تعالى: ﴿مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]، أي ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد، بل تقدمني كثير من الرسل.

ويقال ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق، وهذا أمر بديع، يقال في الشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن، فكأنه لم يتقدمه ما هو مثله ولا ما يشبهه.

ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة، فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداع، وهيئتها هي البدعة، وقد يسمى العلم المعمول على ذلك الوجه بدعة، فمن هذا المعنى سمي العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة، فالبدعة إذًا عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله ﷻ.

فصاحب البدعة إنما يخترعها ليضاهي بها السنة، حتى يكون ملبسًا بها على الغير، أو تكون هي مما تلتبس عليه بالسنة، إذ الإنسان لا يقصد الاستتباع بأمر لا يشابه المشروع، لأنه إذ ذاك لا يستجلب به في ذلك الابتداع نفعًا ولا ضرًّا، ولا يجيبه غيرة إليه، ولذلك تجد المبتدع ينتصر لبدعته بأمور تخيل التشريع، ولو بدعوى الإقتداء بفلان المعروف منصبه في أهل الخير.

كيف نحارب البدع في بيوتنا؟

هناك وسائل متعددة يمكن من خلال محاربة البدع ومنع انتشارها في بيوتنا، من هذه الوسائل:

أولًا ـ الوسائل العامة:

ونقصد بها الوسائل التي يجب استلهامها والاستعانة بها في هذه المجال وغيره من المجالات، من أهمها:

١ـ الدعاء:

فهو سلاح المؤمن في الشدائد يستلهم به عون المعبود جل وعلا، ومن الدعاء الذي علمنا الحق تبارك وتعالى وورد على لسان عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، فأول ما يلجأ إليه العبد المؤمن والداعية هو الله ﷻ ليصلح له ولده وأهل بيته، وأن يجعلهم قرة عين له؛ قال ﷻ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

٢ـ العناية بأمر تربية الأبناء، وبذل الجهد الكافي في تقويمهم وتهذيبهم:

والتربية تشمل تلبية الاحتياجات المادية والنفسية والروحية للأبناء، وهو دور كل مسلم حريص على الإصلاح؛ لأنه يدخل في بناء المجتمع المسلم، وفق ما يريد الله ﷻ، ومن ثم فإن التربية تكون بالاهتمام بالعبادة، والسلوك، والعلم، لأنها كلها تقع في نطاق مسئولية الداعية عن بيته، وسيحين حصادها، قرب ذلك أم بعد.

وقد سجل القران هذا الوصايا الرائعة للقمان عليه السلام وهو يعظ ابنه، وهي وصايا شملت في مضامينها نواحي مختلفة من الحياة؛ منها العبادة والسلوك والمراقبة؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ

(١) لمزيد من التوسع يراجع كتاب: الاعتصام، الشاطبي، (١/ ٢٦).

كيف نحارب البدع في بيوتنا؟

فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٣ - ١٩]، وقد أثنى الله على نبيه إسماعيل فيما أثنى عليه بقوله: ﴿ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴾ [مريم: ٥٥].

وفي الآثار النبوية ما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راعٍ ومسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهل بيته ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسئول عن رعيته، فكلكم راعٍ ومسئول عن رعيته**)[٢]، وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو**) وضم أصابعه[٣].

بل وجعل من الأبناء حياة مليئة بالثواب والحسنات للأب بعد مماته؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**)[٤].

٣- عدم التغاضي عن المنكرات إن ظهرت، والسعي المباشر في إزالتها:

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس فقط مجالاً للدعوة خارج البيت، فبيوتنا تأتي في المقدمة من حيث ضرورة الاهتمام بها، والأمر فيها بالمعروف والنهي عن المنكر، تأسيًا بالنبي ﷺ، ففي الصحيحين عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وأنا متسترة بقرام فيه صورة، فتلون وجهه فهتكه، ثم قال: (**إن من أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يُشبِّهون بخلق الله**)[٥]، كما روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: (**لم يكن رسول الله ﷺ يترك في بيته شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه**)[٦].

وفي صحيح البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل، قالت: فعرفت في وجهه الكراهية، فقلت: يا رسول الله، أتوب إلى الله، ماذا أذنبت؟ فقال رسول الله ﷺ: ما بال هذه النمرقة؟ قلت: اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها، فقال رسول الله ﷺ: (**إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون فيقال لهم: أحيوا ما خلقتم**)، وقال: (**إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة**)[٧].

ويدخل في ذلك متابعة الأبناء والأهل لتقويم ما قد يظهر من سوء خلق أو انحراف عن مراد الشرع، سدًّا لباب فتنة والابتداع.

ثانيًا- الوسائل الخاصة:

ونقصد بها الوسائل التي يمكن الاستعانة بها في مجال محاربة البدع والحد من انتشارها في بيوتنا وبين الأهل والأبناء، من هذه الوسائل:

١- إشاعة السنة والحرص عليها وتدارسها:

وقد أمر الحق تبارك وتعالى بتدارس وتلاوة السنة في البيوت؛ فقال ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

قال السعدي: (والمراد بآيات الله: القرآن، والحكمة: أسراره، وسنة رسوله، وأمرهن بذكره، يشمل ذكر لفظه، بتلاوته، وذكر معناه، بتدبره والتفكر فيه، واستخراج أحكامه وحكمه، وذكر العمل به وتأويله)[٨].

وقد حض النبي ﷺ على التمسك بالسنة؛ فعن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)[٩]، وقال رسول الله ﷺ: (**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض**)[١٠].

٢- التذكير وتدارس الأحاديث والآثار الواردة في ذم البدعة وأهلها:

ومن ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (**مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)[١١]، ورواه مسلم، بلفظ آخر وهو: (**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**)[١٢].

---

(٢) متفق عليه، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، (٨٩٣)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية، (٤٨٢٨).

(٣) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، (٦٨٦٤).

(٤) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (٤٣١٠).

(٥) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله، (٦١٠٩)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة، (٥٦٤٧)، واللفظ له.

(٦) رواه البخاري، كتب اللباس، باب نقض الصور، (٥٩٥٢).

(٧) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب البيوع، باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء، (٢١٠٥)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كب ولا صورة، (٥٦٥٥).

(٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ص(٤٢٢).

(٩) رواه أبو داود، كتب السنة، باب في لزوم السنة، (٤٦٠٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (٤٦٠٧).

(١٠) رواه البيهقي في سننه، (٢٠٨٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، (٢٩٣٧).

(١١) رواه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، (٢٦٩٧).

(١٢) رواه مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، (٤٥٩٠).

وهو مفهوم أيضًا مما رواه مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبدالله البجلي ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**)[١٣].

ويدخل في ذلك سرد القصص التي توضح منهج الرسول الكريم وصحابته في محارب البدع والغلو، ومنها ما جاء عن أنس بن مالك قال: جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله، إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[١٤].

٣- بيان بعض أنواع البدع المنتشرة والظاهرة وتحذير الأهل منها:

وهو واجب ملزم لراعي الأسرة أن يوضح لأهل بيته البدع الكثيرة المنتشرة في بلاد المسلمين عامة، أو في مجتمعهم الخاص، ومن ذلك زيارة الأضرحة أو إقامة الموالد، وما يشبه ذلك من أمور قد يغفل عنها كثير من المسلمين.

ولا يكفي في ذلك واجب التذكير والنصيحة فقط، بل يجب المداومة على التذكير بما قد يستجد من بدع وخرافات، والتأكد من نفور الأهل والأبناء منها وعدم مقارفتهم لها.

٤- منع الأسرة والأهل من مخالطة أهل البدع والمخالفات:

وبالعموم فإن الشريعة قد وضعت قواعد للسلوك والتعامل مع أهل البدع، وحثت على هجرهم وعدم مخالطتهم كنوع من أنواع الزجر لهم، وحتى لا يقع في قلب الضعفاء حب هذه البدع من كثرة مخالطتهم لأهلها والتعامل معهم.

قال الإمام أحمد رحمه الله: (إذا سلَّم الرجل على المبتدع فهو يحبه، قال النبي ﷺ: (**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**)[١٥])[١٦]، وقال ابن المبارك رحمه الله: (اللهم لا تجعل لصاحب بدعة عندي يدًا فيحبه قلبي)[١٧].

وقال الإمام أبو عبدالله عبيد الله بن بطة العكبري رحمه الله: (ولا تشاور أحدًا من أهل البدع في دينك، ولا ترافقه في سفرك، وإن أمكنك أن لا تقربه في جوارك، ومن السنة مجانبة كل من اعتقد شيئًا مما ذكرناه (أي: من البدع)، وهجرانه، والمقت له، وهجران من والاه ونصره وذب عنه وصاحبه، وإن كان الفاعل لذلك يظهر السنة)[١٨].

فهدي رسول الله ﷺ وهدي أصحابه والتابعين لهم بإحسان هجر أهل المعاصي والبدع، ودرج على ذلك العلماء من الأئمة الأعلام فمن أخذ بهديهم وسار بسيرهم؛ فقد سار على الصراط المستقيم.

وفي الأخير نقول: إن الحرص على تقويم الأسرة وحفظها من البدع والخرافات يحفظ النسل من الانحراف والضياع الذي يعيشه ـ واقعًا حزينًا ـ المجتمع المسلم، فرحمة الله ﷻ تحفظ الذرية من الضياع المنتظر ما دام الراعي لم يُقصِّر وبلغ جهده في الصلاح والإصلاح؛ قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [الكهف: ٨٢].

---

(١٣) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، (٢٣٩٨).

(١٤) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (٤٦٧٥)، ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، (٢٤٨٧).

(١٥) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، (٢٠٣).

(١٦) طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، دار المعرفة، بيروت، (١/ ١٩٦).

(١٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، (١/ ٧ ٢٦٧).

(١٨) الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة، عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، ص(٢٨٢).

ملف المولد

٤١ الاحتفال بالموالد ... شبهات وردود

٤٥ حفلة «المولد النبوي» وثقافة التقليد

٤٧ موالد مصر ... بين الجهل والاستغلال

الاحتفال بالموالد ... شبهات وردود

خالد آل عقدة

إن مما اهتمت به الصوفية منذ قرون إقامة الموالد، التي لم يعرفها السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان، ورغم ما يدعيه أربابها من محاسن لها؛ فقد كان لها من المساوئ وترتب عليها من المفاسد، ما دفع الاستعمار ووكلاءه وكل عدو متربص بنبع الإسلام الصافي إلى أن يحرص على تشجيعها، بل يشارك رموز الصوفية في حضورها؛ لذا من المفيد هنا تفنيد أقوى شبهاتهم التي يظنونها أدلة على مشروعية الاحتفال بتلك الموالد، حتى لا يغتر بها من تطرق سمعه.

الشبهة الأولى:

أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وجدهم يصومون يومًا -يعني: عاشوراء- فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجى الله فيه موسى، وأغرق آل فرعون؛ فصام موسى شكرًا لله؛ فقال: (أنا أولى بموسى منهم)، فصامه وأمر بصيامه[1]، فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما منَّ به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة؛ كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، ولاشك أن مولد النبي والولي من النعم العظيمة التي تستحق الشكر والاحتفال.

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

الوجه الأول: أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، وهذا كاف في ذم الاحتفال بالمولد؛ إذ لو كان خيرًا لسَبق إليه الصحابة والتابعون وأئمة العلم والهدى من بعدهم، وقد قال ﷺ: (إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)[2].

الوجه الثاني: أن تخريج عمل المولد على حديث صوم عاشوراء لا يمكن الجمع بينه وبين ما بيناه، من أنه بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة؛ فإن عدم عمل السلف الصالح بالنص على الوجه الذي يفهمه منه من بعدهم؛ يمنع عد ذلك الفهم صحيحًا؛ إذ لو كان صحيحًا فلِمَ يعزب عن فهم السلف الصالح ويفهمه من بعدهم؟

كما يمنع عد ذلك النص دليلًا عليه أنه لو كان دليلًا عليه لعمل به السلف الصالح؛ فالاستنباط المذكور مخالف لما أجمع عليه السلف: من ناحية فهمه، ومن ناحية العمل به، وما خالف إجماعهم فهو خطأ؛ لأنهم لا يجمعون إلا على هدى، وقد بسط الشاطبي رحمه الله الكلام على تقرير هذه القاعدة في كتابه: الموافقات في أصول الأحكام[3].

الوجه الثالث: أن تخريج بدعة المولد على صيام يوم عاشوراء إنما هو من التكلف المردود؛ لأن العبادات مبناها على الشرع والاتباع، لا على الرأي والاستحسان والابتداع.

فصيام يوم عاشوراء قد فعله النبي ﷺ، ورغّب فيه، بخلاف الاحتفال بالمولد واتخاذه عيدًا؛ فإن النبي ﷺ لم يفعله ولم يُرغب فيه، ولو كان في ذلك شيء من الفضل لبين ذلك لأمته؛ لأنه ما من خير إلا قد دلهم عليه ﷺ ورغّبهم فيه، وما من شر إلا قد نهاهم عنه وحذرهم منه، والبدع من الشر الذي نهاهم عنه وحذرهم منه.

الوجه الرابع: إذا كان المراد من إقامة المولد شكر الله تعالى على نعمة ولادة النبي أو الولي؛ فإن المعقول والمنقول يحتمان أن يكون الشكر من نوع ما شكر الرسول ﷺ ربه؛ كالصوم، غير أن أرباب الموالد لا يصومونه؛ لأن الصيام فيه مقاومة لشهوات النفس بحرمانها من لذة الطعام والشراب، وهم يريدون ذلك الطعام والشراب؛ فتعارض الغرضان، فآثروا ما يحبون على ما يحب الله، وهذا بعينه أعظم الزلل عند أهل البصيرة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ و﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، (٣٣٩٧).

(٢) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، (٤٦٠٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (٤٦٠٧).

(٣) يراجع: الموافقات (٣/ ٤١-٤٤)، والمسألة الثانية عشرة من كتاب «الأدلة الشرعية».

الاحتفال بالموالد ... شبهات وردود

خالد آل عقدة

بل إن الموالد في كثير من الأحيان تكون ذريعة للفسق لا للشكر، يقول السيد رشيد رضا: (فالموالد أسواق الفسوق، فيها خيام للعواهر، وخانات للخمور، ومراقص يجتمع فيها الرجال لمشاهدة الراقصات المتهتكات الكاسيات العاريات، ومواضع أخرى لضروب من الفحش في القول والفعل، يقصد بها إضحاك الناس)[٤].

أفلا يكفي الأمة ما كفى نبيها ويسعها ما وسعه؟ وهل يقدر عاقل أن يقول: لا، إذا لم الافتيات على الشارع، والتقدم بالزيادة عليه، والله ﷻ يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]؟!

الشبهة الثانية:

الاستدلال بما أخرجه البخاري بسنده عن عبدالرحمن بن عبدالقاري أنه قال: (خرجت مع عمر بن الخطاب ﷺ ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه! والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله)[٥]، فيستدل المخالف بقول عمر ﷺ: (نعم البدعة هذه) على ما يستحدثه المبتدعة.

وللإجابة عن هذه الشبهة نقول:

إن عمر بن الخطاب ﷺ قال هذه الكلمة حين جمع الناس على إمام واحد في صلاة التراويح، وصلاة التراويح وفعلها جماعة ليس بدعة في الشريعة، بل هو سنة بقول رسول الله ﷺ وفعله لها في الجماعة، فقد صلاها رسول الله ﷺ في الجماعة في أول شهر رمضان ليلتين، بل ثلاثا.

فعن أبي ذر ﷺ قال: صمنا مع رسول الله ﷺ في رمضان، فلم يقم بنا حتى بقي سبع من الشهر، فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل، ثم لم يقم بنا في السادسة، فقام بنا في الخامسة حتى ذهب شطر الليل، فقلت: يا رسول الله، لو نفلتنا بقية ليلتنا هذه، قال: (**إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب الله له قيام ليلة**)، ثم لم يصل بنا ولم يقم، حتى بقي ثلاث من الشهر، فقام بنا في الثالثة، وجمع أهله ونساءه، حتى تخوفنا أن يفوتنا الفلاح، قلت: وما الفلاح؟ قال: السحور)[٦].

وبهذا الحديث احتج أحمد وغيره على أن فعلها في الجماعة أفضل من فعلها في حال الانفراد، وفي قوله هذا ترغيب لقيام رمضان خلف الإمام، وذلك أوكد من أن يكون سنة مطلقة، وكان الناس يصلونها جماعات في المسجد على عهده ﷺ وهو يقرهم، وإقراره سنة منه ﷺ.

وفي قوله في رواية البخاري آنفًا: (ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط) ما يدل على أن من الصحابة ﷺ من كانوا يصلون التراويح جماعة في عهد عمر ﷺ، قبل أن يجمعهم كلهم على إمام واحد.

إذا علم ما تقدم؛ فمفهوم البدعة الشرعية لا ينطبق على فعل عمر ﷺ، وإنما أراد ﷺ بقوله المذكور البدعة اللغوية، فالبدعة في الشرع لا تستخدم إلا في موضع الذم بخلاف اللغة؛ فإن كل ما أحدث على غير مثال سابق بدعة، سواء أكان محمودًا أم مذمومًا.

وعلى هذا حمل العلماء قول عمر ﷺ؛ فقد قال الإمام ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧]: (**والبدعة على قسمين: تارة تكون بدعة شرعية؛ كقوله ﷺ: (فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)**، وتارة تكون بدعة لغوية؛ كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ عن جمعه إياهم على صلاة التراويح واستمرارهم: (نعمت البدعة هذه))[٧].

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (فإذا كان نص رسول الله ﷺ قد دل على استحباب فعل أو إيجابه بعد موته، أو دل عليه مطلقًا ولم يعمل به إلا بعد موته؛ ككتاب الصدقة الذي أخرجه أبو بكر ﷺ، فإذا عمل ذلك العمل بعد موته؛ صح أن يسمى بدعة في اللغة، لأنه عمل مبتدأ، كما أن الدين نفسه الذي جاء به النبي ﷺ يسمى بدعة ويسمى محدثًا في اللغة، كما قالت رسل قريش للنجاشي عن أصحاب النبي ﷺ المهاجرين إلى الحبشة: (إن هؤلاء خرجوا من دين آبائهم، ولم يدخلوا في دين الملك، وجاءوا بدين محدث لا يعرف).

ثم ذلك العمل الذي يدل عليه الكتاب والسنة ليس بدعة في الشريعة، وإن سمي بدعة في اللغة، فلفظ البدعة في اللغة أعم من لفظ البدعة في الشريعة، وقد علم أن قول النبي ﷺ: (**كل بدعة ضلالة**) لم يرد به كل عمل مبتدأ، فإن دين الإسلام بل كل دين جاءت به الرسل فهو عمل مبتدأ، وإنما أراد: ما ابتدئ من الأعمال التي لم يشرعها هو ﷺ.

---

(٤) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (٢/ ٧٤-٧٦).

(٥) رواه البخاري، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، (٢٠١٠).

(٦) رواه أبو داود، كتاب شهر رمضان، باب في قيام شهر رمضان، (١٣٧٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (١٣٧٥).

(٧) تفسير ابن كثير، (١/ ٣٩٨).

الاحتفال بالموالد ... شبهات وردود

خالد آل عقدة

وإذا كان كذلك فالصحابة ﷺ قد كانوا يصلون قيام رمضان على عهد النبي ﷺ جماعة وفرادى، وقد قال لهم في الليلة الثالثة أو الرابعة لما اجتمعوا: (إنه لم يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهة أن تفرض عليكم، فصلوا في بيوتكم؛ فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة)[٨]، فعلل ﷺ عدم الخروج بخشية الافتراض، فعلم بذلك أن المقتضي للخروج قائم، وأنه لولا خوف الافتراض لخرج إليهم.

فلما كان في عهد عمر ﷺ جمعهم على قارئ واحد، وأسرج المسجد، فصارت هذه الهيئة - وهي اجتماعهم في المسجد على إمام واحد مع الإسراج - عملًا لم يكونوا يعملونه من قبل، فسمي بدعة لأنه في اللغة يسمى بذلك، ولم يكن بدعة شرعية لأن السنة اقتضت أنه عمل صالح، لولا خوف الافتراض، وخوف الافتراض قد زال بموته ﷺ فانتفى المعارض)[٩].

الشبهة الثالثة:

ومن الشبه التي استند إليها القائلون بالاحتفال بالمولد النبوي قولهم: إن التذكير بالمولد مطلوب بأمر القرآن، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥].

الجواب عن هذه الشبهة:

إن الاستدلال بهذه الآية على مشروعية الاحتفال بالمولد من قبيل حمل كلام الله تعالى على ما لم يحمله عليه السلف الصالح، والدعاء إلى العمل به على غير الوجه الذي مضوا عليه في العمل به، وهذا أمر لا يليق؛ فإن كبار المفسرين قد فسروا هذه الآية الكريمة، ولم يكن في تفسيرهم أن المقصود بالتذكير بأيام الله في هذه الآية الاحتفال بمولد النبي أو الولي، وإنما المقصود بالتذكير بأيام الله: الوعظ بنعمه ونقمه؛ فعن أبي بن كعب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنه بينما موسى عليه السلام في قومه يذكرهم بأيام الله، وأيام الله نعماؤه وبلاؤه، إذ قال: ما أعلم في الأرض رجلًا خيرًا وأعلم مني، قال: فأوحى الله إليه: إني أعلم بالخير منه أو عند من هو ... الحديث)[١٠].

قال القرطبي في تفسيره: (قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ أي: قل لهم قولا يتذكرون به أيام الله تعالى، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: بنعم الله عليهم، وقاله أبي بن كعب ورواه مرفوعًا، أي: بما أنعم الله عليهم من النجاة من فرعون ومن التيه إلى سائر النعم، وقد تُسمى النعم الأيام، ومنه: قول عمرو بن كلثوم: وأيام لنا غر طوال.

وعن ابن عباس أيضًا ومقاتل: بوقائع الله في الأمم السالفة، يقال: فلان عالم بأيام العرب، أي: بوقائعها، قال ابن زيد: يعني: الأيام التي انتقم فيها من الأمم الخالية، وكذلك روى ابن وهب عن مالك قال: بلاؤه، وقال الطبري: وعظهم بما سلف في الأيام الماضية لهم، أي: بما كان في أيام الله من النعمة والمحنة، وقد كانوا عبيدًا مستذلين، واكتفى بذكر الأيام عنه؛ لأنها كانت معلومة عندهم)[١١].

الشبهة الرابعة:

قولهم: الترك لا يقتضي التحريم، وينسبون مثل هذا الكلام إلى الأصوليين، بل يبالغ بعضهم ويغلو عندما يزعم أنه إجماع.

ويقال في رد هذه الشبهة:

نعم، الأصوليون لم يجعلوا الترك من أنواع التحريم؛ فالتحريم يكون بالنص ونحوه مما يدل على التحريم، لكن هنا فرق لابد من التنبه له هو سبب هذا الإشكال: كلام الأصوليين إنما هو في العادات لا في العبادات ...

فالأصل في العادات الإباحة، والترك في باب العادات لا يدل على التحريم؛ فمثلا: النبي ﷺ لم يأكل الضب؛ فهل هذا يدل على تحريمه؟ الجواب: لا؛ لأن الترك لا يدل على التحريم، هذا في باب العادات، وهكذا، فالأصل في كل شيء من المنافع الدنيوية الإباحة، إلا إذا ورد ما يمنع، وهذا من التوسيع والرحمة.

وأما العبادات فالأصل فيها التحريم إلا إذا ورد الإذن، وعلى ذلك فما تركه الشارع فهو محرم؛ إذ لو كان مشروعًا لفعل، فالترك دل على عدم المشروعية، فكل ما نوقعه من عبادات: من صلاة وصيام وحج وزكاة، كلها لم يكن لنا القيام بها لولا إذن الشارع، وهذا هو مقتضى التسليم وعدم التقدم بين يدي الله ورسوله.

ولو كان لكل إنسان الحق أن يخترع عبادة كيفما شاء لم يكن من داع لإرسال الرسول لتبليغ رسالة الرب إلى الخلق، بل يترك لكل قوم وكل إنسان أن يخترع ما شاء من العبادات، وهذا باطل.

والدليل على أن الأصل في العبادات المنع قوله ﷺ: **(إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة)**[١٢]، وعلى ذلك يرد

---

(٨) يقصد ما رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب، باب ما يكره من كثرة السؤال، (٧٢٩٠)، عن زيد بن ثابت ﷺ أن النبي ﷺ اتخذ حجرة في المسجد من حصير، فصلى رسول الله ﷺ فيها ليالي، حتى اجتمع إليه ناس، ثم فقدوا صوته ليلة، فظنوا أنه قد نام، فجعل بعضهم يتنحنح ليخرج إليهم، فقال: (ما زال بكم الذي رأيت من صنيعكم، حتى خشيت أن يكتب عليكم، ولو كتب عليكم ما قمتم به، فصلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة).

(٩) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، (٢/ ٥٩٢-٥٩٣).

(١٠) رواه مسلم، كتاب الفضائل، من فضائل الخضر ﷺ، (٦٣١٥).

(١١) تفسير القرطبي، (٩/ ٣٤٢).

(١٢) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، (٤٦٠٩)، وصححه الألباني في صحيح

الاحتفال بالموالد ... شبهات وردود

خالد آل عقدة

السؤال: هل المولد من باب العبادات أو من باب العادات؟

لننظر فيما يكون في الاحتفال بمولد النبي ﷺ كما يراه صالحوهم، إنه اجتماع لتلاوة سيرة النبي ﷺ مع إنشاد المدائح النبوية بأصوات ملحنة، ثم تقام الولائم لأجل ذلك، وهم يفعلون ذلك في كل عام مرة على الأقل في تاريخ محدد، وهذا بلا ريب عبادة محضة، والأدلة على ذلك:

أولًا ـ من حيث إنهم يتخذون ذلك اليوم عيدًا، والعيد هو ما يعتاد مجيئه في كل زمن؛ فالجمعة عيد، لأنه كل أسبوع، والفطر والأضحى عيدان؛ لأنهما يعودان كل عام، وعلى ذلك قس المولد، فهو يحتفل به كل عام، وهذا تشريع واتخاذ ليوم لم يأذن به الشارع أن يكون عيدًا، ونحن نعلم أن المسلمين ليس لهم إلا عيدان يحتفلون بهما: الفطر والأضحى، ولا يجوز لهم أن يتخذوا عيدًا ثالثًا، والحاصل في المولد أنه صار ـ بتكراره السنوي ـ عيدًا يحتفل به، أي: صار عيدًا ثالثًا في الإسلام، وهذه هي الضلالة.

ثانيًا ـ أن الموالد ذكر، والذكر عبادة.

ثالثًا ـ أن أهل الموالد يقصدون التقرب إلى الله تعالى بما يفعلون، والتقرب عبادة.

إذًا؛ الموالد عبادة وليست عادة، فتدخل في باب: (الأصل في العبادات المنع إلا بنص)، ولا تدخل في باب: (الأصل في العادات الإباحة إلا بنص).

ومن ثَم لا يجوز الاحتجاج بقاعدة: (الترك لا يقتضي التحريم)؛ إذ أن هذه القاعدة يعمل بها في العادات لا في العبادات.

إن دعوى أن (الترك لا يقتضي التحريم) هكذا بإطلاق تصادم النص النبوي: **(إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة)**[١٣]، فيصبح هذا النص لا معنى له إذا عمل بتلك الدعوى على إطلاقها دون التفصيل المذكور.

ودائمًا ما يخلط دعاة الاحتفال بالمولد بين البدعة والمصلحة المرسلة، والضابط الذي تتميز به المصلحة المرسلة من البدع المحدثة هو ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: (والضابط في هذا ـ والله أعلم ـ أن يقال: إن الناس لا يحدثون شيئًا إلا لأنهم يرونه مصلحة؛ إذ لو اعتقدوه مفسدة لم يحدثوه؛ فإنه لا يدعو إليه عقل ولا دين.

فما رآه الناس مصلحة نُظر في السبب المحوج إليه: فإن كان السبب المحوج إليه أمرًا حدث بعد النبي ﷺ لكن من غير تفريط منه؛ فهنا قد يجوز إحداث ما تدعو الحاجة إليه، وكذلك إن كان المقتضي لفعله قائمًا على عهد رسول الله ﷺ، لكن تركه النبي ﷺ لمعارض زال بموته.

وأما ما لم يحدث سبب محوج إليه، أو كان السبب المحوج إليه بعض ذنوب العباد؛ فهنا لا يجوز الإحداث، فكل أمر يكون المقتضي لفعله على عهد رسول الله ﷺ موجودًا، لو كان مصلحة ولم يفعل؛ يعلم أنه ليس بمصلحة، وأما ما حدث المقتضي له بعد موته من غير معصية الخالق؛ فقد يكون مصلحة ...)[١٤].

وخلاصة القول: إن حاصل المصالح المرسلة يرجع إلى حفظ أمر ضروري، أو رفع حرج لازم في الدين، وليست البدع عند من يدعيها هكذا بيقين؛ لأن المبتدع إنما يفعل البدع بقصد زيادة التقرب إلى الله، وإن لم يكن هناك حاجة إلى إحداث ذلك الفعل.

إن دعاة الاحتفال بالمولد يعرضون هذه القضية على أنها خصومة مع نبي الله وأولياء الله، ولاشك أن عرض القضية على هذا النحو هو من أعظم التلبيس وأكبر الغش لجمهور الناس وعامة المسلمين، فالقضية ليست على هذا النحو بتاتًا؛ فالذين لا يرون جواز الاحتفال بالمولد خوفًا من الابتداع في الدين هم أسعد الناس حظًا بمحبة النبي ﷺ وطاعته ومحبة أولياء الله، الذين ما نالوا تلك الولاية إلا بمحبتهم واتباعهم له ﷺ، وهم أكثر الناس تمسكًا بسنته، واقتفاء لآثاره، وتتبعًا لحركاته وسكناته، واقتداء به في كل أعماله ﷺ.

وهم كذلك أعلم الناس بسنته وهديه ودينه الذي أرسل به، وأحفظ الناس لحديثه، وأعرف الناس بما صح عنه وما افتراه الكذابون عليه، ومن أجل ذلك هم الذابون عن سنته، والمدافعون في كل عصر عن دينه وملته وشريعته.

بل إن رفضهم للاحتفال بالمولد وجعله عيدًا إنما ينبع من محبتهم وطاعتهم للنبي ﷺ، فهم لا يريدون مخالفة أمره، ولا الافتئات عليه، ولا الاستدراك على شريعته؛ لأنهم يعلمون جازمين أن إضافة أي شيء إلى الدين إنما هو استدراك على الرسول ﷺ؛ لأن معنى ذلك: أنه لم يكمل الدين، ولم يبلغ النبي ﷺ كل ما أنزل الله إليه، أو أنه استحيا أن يبلغ الناس بمكانته ومنزلته وما ينبغي له، وهذا أيضًا نقص فيه، وحاشاه ﷺ ذلك.

سنن أبي داود، (٤٦٠٧).

(١٣) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، (٤٦٠٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (٤٦٠٧).

(١٤) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، (٢/ ٥٩٤).

حفلة «المولد النبوي» وثقافة التقليد

فريدصلاح الهاشمي (*)
Feriduddin AYDIN

من التعبيرات الشائعة قولهم: (أكل عليه الدهر وشرب)، ينطبق هذا التعبير على بعض شعائر الإسلام التي لم يعرفها السلف الصالح، ولكن الذي عبث به المغرضون والمندسون بين صفوف الأمة، وتابعتهم في ذلك حثالة كثيفة من الناس في كل عصر؛ عن جهل وتقليد أعمى، حتى تحول مع الزمان إلى شبه ديانة محرفة، وجدناه اليوم في أثواب غريبة ومظاهر بعيدة عن أصله الطاهر النقي، ومنهله المقدس.

ولعل الرسول الكريم ﷺ كان يتوقع هذه العاقبة الوخيمة، ويخاف منها على أمته حين يقول: (**فإنه من يعش منكم يرى اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة؛ فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ**)[1].

عبث بالإسلام من عبث ـ لأمر ما ـ بعد القرن الهجري الثالث، ونال منه كثير ممن غرته نفسه، ليس بطريقة العدو المجاهر، ولكن بأسلوب الصاحب الماكر والرفيق الخائن الغادر، كلما ناوله بطعنة مسمومة من قبل ظهره؛ تحرف بمناورة سريعة فواساه وواسى أهله من قبل وجهه.

لقد ظهرت عادة «المولد النبوي» شكلًا من هذا العبث بالإسلام لأول مرة في مرحلة من عصور الظلام، وبالتحديد في عهد الدولة العبيدية أيام (المعز لدين الله الفاطمي)، كما أحدثت في تلك المرحلة تغيرات مذهبية تمثل سيادة الفاطميين الشيعة في مصر؛ فزادوا في الأذان عبارة: «حي على خير العمل» والقنوت في الركعة الثانية من صلاة الجمعة، وأن يقال في خطبة الجمعة: «اللهم صل على محمد المصطفى، وعلى علي المرتضى، وفاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرًا».

ورغم إلغاء الدولة الأيوبية هذه البدع؛ إلا أن المماليك اهتموا خاصة بإقامة حفلات تحت شعار «المولد النبوي»، وعملوا على إشاعتها وترسيخها، ثم جاء العثمانيون فنزعوا إلى هذه العادة واستحسنوها ربما عن طريق العدوى، بوصفها نتيجة للعلاقات الكثيفة بين الدولة العثمانية والدولة المملوكية، غير أن حفلات «المولد النبوي» لم تكن شيئًا مذكورًا في المجتمع العثماني طيلة ثلاثة قرون من تاريخه مع وجود أسبابها.

ومن أقواها شيوع القصص من حياة الرسول، وآلام أهل البيت، يتناقلها القصاصون في المجالس والمحافل بطريق الحديث الشفهي، وقد دونها عدد من أدباء الأتراك باللغة التركية نثرًا ونظمًا، وأما أشهرها: فهي الرسالة المسماة «وسيلة النجاة»، نظمها الشاعر سليمان شلبي في مدينة بورسا عام ١٤٠٩م، وهي قصيدة شعرية تركية باللهجة العثمانية، تتألف من ٨٠٠ بيت فيها ذكر معجزات الرسول ﷺ ومدائح، ولا يخلو بيت من بيوت الأتراك السنيين اليوم من نسخة من هذه الرسالة؛ منها: ما هو مطبوع بالحروف اللاتينية، وأخرى بالحروف العربية، والأولى أكثر شيوعًا.

ويحفظ معظمها "قراء المولد" عن ظهر قلب، خاصة أعضاء "جمعية المولد النبوي" المختصين بتلاوة قصيدة المولد في الحفلات، وهم فئة تستدعيهم عائلات من الطبقة الثرية لقراءة المولد في أيام هنائهم وعزائهم.

هذه القصيدة عند الأتراك السنيين هي بمثابة البردة للبوصيري عند صوفية العرب، وفيها من الغلو ما في البردة، ولكن الطامة الكبرى أن قصيدة المولد تتبوأ في ضمير كثير من الأتراك منزلة لا تقل عن منزلة القرآن الكريم! فهي مصدر البركة عندهم، ووسيلة الغفران لموتاهم، تبدو هذه الحقائق بكل وضوح في صيغ دعائهم حين يتضرعون بقولهم:

İlâhi ya rabbi، okumuş olduğumuz bu mevlidi şeriften hasıl olan sevabı Sevgili peygamberimizin ve bütün geçmişlerimizin ruhlarına hediye eyledik sen vasıl eyle.

(*) باحث من تركيا.

(١) رواه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، (٢٨٩١)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٢٦٧٦).

حفلة «المولد النبوي» وثقافة التقليد

فريدصلاح الهاشمي (*)
Feriduddin AYDIN

ومعنى هذا الدعاء: (اللهم أوصل الثواب الحاصل مما تلوناه من هذا المولد الشريف إلى روح نبينا الحبيب، وإلى أرواح أمواتنا جميعًا)، وهذا ابتداع ما أنزل الله به من سلطان.

طقوس المولد في تركيا:

تقام حفلات "المولد النبوي" في المساجد، وقد يحضرها مفتي الديار التركية و"رجال الدين" والسياسيون ورجال العمل وجماهير من الناس، إلا أن هذه القصيدة التركية لم يسمع أن تناولها أحد من علماء الأتراك بالنقد من منطلق العقيدة الحنيفية بخلاف البردة؛ فإن كثيرًا من العلماء في البلاد العربية قد درسوا البردة، وبينوا ما فيها من مواطن الغلو، وما يخالف عقيدة التوحيد في الإسلام، ولعل هذا يدل على سطحية معرفة "رجال الدين" بأصول التوحيد في تركيا.

وقد ترتبط المشكلة بضعف علمهم بالعربية، ويغلب أن العجمة السائدة في الدين واللغة لدى المجتمع التركي هي العقبة العظمى التي حالت بينه وبين الإسلام الصحيح منذ اعتناقهم هذا الدين، على رغم انتمائهم الشديد إلى الدين الإسلامي واعتزازهم به، ومحبتهم البالغة لكتاب الله ورسوله ... وهذه المشكلة العظيمة جديرة بأن تتناولها هيئات علمية بالبحوث العميقة والدراسات الموسعة في أبعاد متعددة الوجوه؛ للوصول إلى الأسباب التي أسفرت عنها مشكلات أخرى يعاني منها العالم الإسلامي اليوم.

أقيمت حفلة "المولد النبوي" لأول مرة في عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥م)، وهو الثاني عشر من سلاطين بني عثمان، ومعروف بسيرة غير محمودة على لسان أهل الاختصاص والحياد من المؤرخين، ومن أهم وقائعه: إعدام إخوته الخمسة صباح جلوسه على العرش، وإدمانه الخمر وانهماكه في مضاجعة الجواري ومجالسة السفهاء، واستغلاله الأثرياء، وتبذيره على حساب بيت مال المسلمين.

ورد بقلم المؤرخ رشاد أكرم كوجو في كتابه الموسوم "سلاطين بني عثمان": أنه استمرت حفلات السهرة التي أقيمت بمناسبة تطهير [ختان] ولده البكر الأمير محمد ثلاثة وخمسين يومًا، وبلغ ما تم إنفاقه من المال في هذه المدة إلى حدود ما تم صرفه في تنفيذ قناة السويس.

أقيمت حفلة "المولد النبوي" بفرمان [أي: مرسوم سلطاني] أصدره السلطان مراد الثالث في أيام هذه السهرات عام ١٥٨٢م، ويكفي هذا لكشف القناع عن أسرار ما يسميه الناس بحفلة "المولد النبوي"، إن قصائد "المولد النبوي" في تركيا تختلف من حيث اللغة باختلاف الطوائف العرقية من أهل السنة التقليدية؛ فلكل من العرب والأكراد والظاظا والشراكسة قصائد المولد بلغاتهم، إلا أن أشهرها وأكثرها انتشارًا هي القصيدة التركية للشاعر سليمان شلبي، ومطلعها:

الله آدين ذكر ايدلم أولا
واجب أولدر جمله إيشده هر قوله

ثم تأتي بعدها القصيدة الكردية التي نظمها الشاعر الكردي "ملا باته"، وقد عرف باسم: الملا حسن الأرطوشي (أو الهرطوشي)، ومطلع هذه القصيدة:

حمد بي حد بو خداي عالمين
أو خداي دايه مه دين مبين

كانت هذه القصيدة الكردية ممنوعة الطبع والنشر إلى الماضي القريب، ثم سمحت بها السلطة ضمن جملة من مطالب الأكراد، بعد ضغوط من الاتحاد الأوروبي التي استسلمت لها الحكومات التركية أخيرًا.

إن الصورة التي تتراءى من خلال هذه السطور الوجيزة دونما أي تعليق؛ تعد شاهدة على الشتات والتفكك والتفرقة الرهيبة التي لحقت بأمة الإسلام نتيجة تحويل الدين إلى سلسلة من العادات، وتفرض هذه الصورة نفسها في كل بقعة من الوطن الإسلامي الكبير، وهو ما يدعو إلى تأمل بالغ في شأن العادات المختلقة باسم الدين.

وتجدر الإشارة بهذه المناسبة إلى أن كل شريحة من نسيج هذه الأمة قد اتخذت موقفًا من الإسلام بحسب نزعاتها التقليدية وثقافتها الموروثة من العهد الجاهلي، يختلف موقفها هذا عما حدده الكتاب والسنة (إلا من رحم ربي)، ويتلخص هذا الموقف في ثلاث فئات رئيسية هي: الموقف الصوفي، والمذهب المتعصب، والموقف الفلسفي.

وهذا موضوع دراسة مستقلة في غير هذا المقام، علمًا أن عادة "المولد النبوي" سمة تمثل الموقف الصوفي والمذهب المتعصب من الإسلام في آن واحد على الساحة التركية بالتحديد!

لذا؛ ليست حفلة "المولد النبوي" مجرد عادة تناقشها الأطراف المتنازعة من وجهة نظر الدين بوصفها بدعة فحسب، وإن كان يبدو هذا المنطلق أقوى الذرائع، ولكنها قضية ذات جذور تاريخية واجتماعية وثقافية تحتاج إلى أكثر من هذا تأملًا وبحثًا.

موالد مصر ... بين الجهل والاستغلال

عمرو توفيق

جاء الإسلام بعقيدة سمحة غراء، من أهم ما يميزها السهولة واليسر، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين العبد وربه ﷻ؛ فلا وساطة بين الإنسان وخالقه تبارك وتعالى، وإنما بعث الرسل ليبلغوا الرسالة ويبينوها وينيروا الطريق، ومع انقطاع الوحي بعد النبي ﷺ ورث العلماء مهمة الرسل والأنبياء.

لكن مع تقادم الزمن وتخلي بعض العلماء عن مهمتهم؛ انحرفت فئات من المسلمين عن جادة الطريق، وزينت لهم شياطين الإنس والجن ما لم ينزل به الله من سلطان؛ فتشوهت صورة العقيدة البيضاء، ودخل فيها ما يعقدها ويخرجها عن يسرها ونقائها؛ فأضحت العلاقة بين العبد وربه تتطلب وسطاء وشفعاء من الأموات فضلًا عن الأحياء.

ومن أشد صور هذا التشوه العقدي تقديس القبور والأضرحة، واتخاذها واسطة للتقرب إلى الله ﷻ، فضلًا عن اتخاذها آلهة من دون الله؛ بصرف صنوف من العبادة لها مثل: الذبح والاستغاثة والتوسل ... إلخ.

وتتعاظم الخطورة مع إقامة الاحتفالات السنوية عند هذه القبور فيما يسمى بظاهرة "الموالد"؛ حيث تجتمع الانحرافات السلوكية والمظاهر البدعية والشركية في صعيد واحد ووقت واحد.

يتفاوت انتشار هذه الموالد بين الدول الإسلامية، وتحظى مصر بنصيب الأسد من الأضرحة والموالد، خاصة مع وجود موالد للنصارى يحضرها - مع الأسف - بعض عوام المسلمين، كما يوجد مولد لليهود اسمه مولد «أبو حصيرة» في محافظة البحيرة شمال مصر، ولا تكاد تخلو مدينة مصرية من عدة أضرحة تقام حولها الموالد السنوية، ومن أشهر هذه الموالد: الحسين، والرفاعي، والبدوي، والسيدة زينب، والقناوي.

وفي هذا التحقيق نحاول إلقاء بعض الضوء على استمرار ظاهرة الموالد في مصر؛ تذكيرًا بخطورتها، ومحاولة للتعرف على أسباب الاستمرار، ونركز على المحاولات الشيعية والأمريكية لاستغلال هذه الظواهر في تحقيق أهدافهم، كما نشير إلى أهم طرائق المواجهة وأساليبها.

الموالد في الإسلام:

يقول الدكتور محمود المراكبي رئيس جماعة أنصار السنة في مصر: إن الاحتفالات بموالد الأنبياء والأولياء والصالحين من البدع المنكرة التي أحدثها الغلاة والمبتدعة في دين الله ﷻ، واستحسنها كثير من الناس ممن قل علمهم وسهل التأثير عليهم.

والاحتفال بالموالد من البدع والضلالات المخالفة للسنة حتى لو لم تصاحبها المنكرات؛ لأن رسول الله ﷺ لم يحتفل بمولده، ولم يحتفل الصحابة بمولده ﷺ ولا بموالد الصالحين، ولا اجتمعوا لها، ورسول الله ﷺ يقول: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)**[1]، ويقول ﷺ: **(إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)**[2]، ويقول ﷺ: **(اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد)**[3]، ويقول ﷺ أيضًا: **(لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم)**[4].

وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فدعاه فقال: ألا أحدثك بحديث سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: **(لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ؛ فإن صلاتكم وتسليمكم تبلغني حيثما كنتم)**[5].

وعن سهيل بن أبي سهيل قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند القبر فناداني، وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال: هلم إلى العشاء، فقلت: لا أريده، فقال: مالي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي ﷺ، فقال: إذا دخلت المسجد فسلم، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: **(لا تتخذوا قبري عيدًا ولا تتخذوا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغني**

---

(١) رواه مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، (٤٥٨٩).

(٢) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، (٤٦٠٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (٤٦٠٧).

(٣) رواه مالك في الموطأ، (٤١٩)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، (٧٥٠).

(٤) رواه أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، (٢٠٤٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (٢٠٤٢).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، (٧٥٤٢)، وصححه الألباني في تحذير الساجد، (٩٥).

موالد مصر ... بين الجهل والاستغلال

عمرو توفيق

حيثما كنتم، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[٦].

ويضيف الدكتور جمال المراكبي: هذا الذي قلناه هو حكم الموالد في الشرع الحنيف وإن لم تصاحبها منكرات وبدع؛ فكيف والموالد لا تخلو من بدع ومنكرات بعضها شركية وبعضها بدعية؟

النشأة والتطور:

ظاهرة الاحتفال بالموالد معروفة من العصور السابقة على الإسلام؛ فكان الفراعنة واليونان يحتفلون بالآلهة، ويجعلون عيدًا لظهورها، ثم انتقل ذلك إلى النصرانية فكانوا يحتفلون بالموالد؛ مثل: ميلاد المسيح عليه السلام، ثم جاء بعض المنتسبين إلى الإسلام فتشبهوا باحتفالات النصارى، وجعلوا احتفالا بمولد النبي ﷺ.

لذلك يرجع بعض الباحثين أصول الموالد في مصر إلى العصر الفرعوني، فيربط الدكتور فاروق أحمد مصطفى أستاذ الاجتماع في جامعة الإسكندرية في دراسة بعنوان «الموالد ... دراسة للعادات والتقاليد الشعبية في مصر»[٧] بين الموالد وبين الاحتفالات الفرعونية القديمة، ويقول: إن أهم ملامح الاحتفالات الفرعونية هي تقديس الآلهة والفرعون وتقديم القرابين، والجانب الفلكلوري، مثل: الموسيقى والغناء والرقص، كما أن هناك عبارات التقديس التي كانت تطلق على الفرعون؛ فهو الذي يهب الحياة، وهو النور الذي يهدي الناس، وهو إما الإله أو من سلالة الآلهة، وهذه الصفات نفسها نجد كثيرًا منها مستخدمًا حتى الآن في تقديس الأولياء والقديسين.

(٦) فضل الصلاة على النبي ﷺ، الجهضمي، وقال الألباني في تحقيقه (٣٠): إسناده صحيح.
(٧) فاروق أحمد مصطفى، الهيئة العامة للكتاب، «الموالد ... دراسة للعادات والتقاليد الشعبية في مصر».

ويتفق معظم الباحثين على أن أول من أحدث بدعة الموالد في الإسلام هم العبيديون "الفاطميون"، يقول الشيخ علي حشيش مدير الدعوة والإعلام في جماعة أنصار السنة في مصر: إن مصر - حفظها الله - كانت ولا تزال أهل سنة حتى دخلها الفاطميون وما هم بفاطميين؛ فأول من ابتدع الموالد وبنى المزارات وأحدث القباب على القبور في مصر هم العبيديون أصحاب الدولة اليهودية الباطنية الفاسدة المفسدة، دولة العبيديين المسماة كذبًا وزورًا وتغريرًا باسم "الفاطميين"، وهم برآء من فاطمة الزهراء رضي الله عنها وهي بريئة منهم.

وحول أصول الفاطميين، قال الإمام الحافظ ابن كثير: (الفاطميون على زعمهم لم يكونوا بفاطميين، وإنما كانوا ينسبون إلى عبيد وكان اسمه سعيدًا، وكان يهوديًّا حدادًا، دخل بلاد المغرب وتسمى بعبيد الله، وادعى أنه شريف علوي فاطمي، وقال عن نفسه إنه المهدي ... وراج لهذا الداعي الكذاب ما افتراه في تلك البلاد، وآزره جماعة من الجهلة، وصارت له دولة وصولة، ثم تمكن إلى أن بنى مدينة سماها (المهدية) نسبة إليه، وصار ملكا مطاعًا يظهر الرفض وينطوي على الكفر المحض، ثم كان من بعده ابنه القائم محمد، ثم ابنه المنصور إسماعيل، ثم ابنه المعز، وهو أول من دخل ديار مصر منهم ...)[٨].

ويضيف الشيخ علي حشيش: فهم أول من أحدث قبة على القبر الذي بنوه بالقاهرة باسم الحسين رضي الله عنه والحسين بريء منهم، وكانوا يزخرفون هذا المنكر بكثرة ما يذبحون ويطعمون من الطعام، وما يخلعون من الخلع، ويبذلون من الأموال يشترون بها الذين باعوا دينهم في سوق الدنيا، وما أكثر المحتاجين والمجانين الذين يطوفون حول القبر المزخرف بالنحاس والفضة والستائر الحريرية، وأضاءوا حوله، وزعموا أن به رأس الحسين، ثم أخذوا يرفعون القباب على الموتى ويروجون في مصر المزارات والموالد حتى حمى الله مصرًا بأهل السنة، وجاء صلاح الدين الأيوبي.

(٨) البداية والنهاية، ابن كثير، (١٢/ ٦٥٣).

ويذكر ابن كثير في: البداية والنهاية (١٢/ ٩٤٥) ما قام به بنو أيوب من تطهير لهذا المنكر، وحفظ لمذهب أهل السنة، وإبادة لمذهب أهل البدعة.

وبصفته شيخًا سابقًا للطريقة الخلوتية الصوفية لنحو ١٥ عامًا؛ يقول المهندس محمود المراكبي - رائد تطوير البرمجيات الإسلامية، وصاحب المؤلفات الشهيرة في نقد الصوفية -: ظاهرة الموالد في مصر نشأت مع الدولة الفاطمية التي تنتسب زورًا وبهتانًا إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها، حيث أراد العبيديون إقامة مناسبات تدفع الشعب المصري إلى التعلق بنسل فاطمة رضي الله عنها، فظاهرة الموالد ظاهرها حب أهل البيت رضي الله عنهم وباطنها الدعوة إلى الأفكار الشيعية المسممة.

ويدلل المهندس محمود المراكبي على جهل الصوفية، وأن الموالد لها أهداف خفية بقوله: والعجيب أن أشهر القبور والأضرحة في مصر لا يوجد بها أصحابها؛ فالحسين - مثلا - لم يدخل مصر، وفي كتابي «القول الصريح في حقيقة الضريح» أثبت تاريخيًّا أن رأس الحسين لم يدخل مصر.

كما أن القبر المزعوم للسيدة زينب مكتوب عليه "مشهد السيدة زينب"، والفرق بينه وبين الضريح أن الضريح يعني: أن الشخص مدفون في هذا المكان بشكل يقيني، أما المشهد فالذي قال: إن السيدة زينب مدفونة هنا هو «علي الخواص»، وهو شيخ الشعراني، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، وزعم أنه شهد في الرؤيا أن السيدة زينب مدفونة هنا، وتبعه على ذلك الجهلاء وأصبح واقعًا مقررًا.

كما أن موقع مسجد السيدة زينب بالقرب من نهر النيل، والمصريون لا

موالد مصر ... بين الجهل والاستغلال

عمرو توفيق

يدفنون موتاهم إلا قرب الجبل خوفًا من تسرب مياه النيل إلى الأرض الطينية.

لقد كانت وظيفة الموالد التي أنشئت من أجلها - بحسب دراسة الدكتور فاروق أحمد مصطفى - هي العمل على نشر الدعوة الفاطمية، وإلهاء الشعب عن التغيير الديني الذي يجري في البلاد، واستخدمت من الوسائل والأساليب ما يساعد على تحقيق هذه الوظيفة واستمالة الشعب لحب الفاطميين، وهو ما يؤكده أيضًا الباحث عبدالغني النبوي الشال في كتابه «عروسة المولد»؛ حيث يرى أن الدولة الفاطمية تفهمت نفسية الجماهير المصرية؛ فخلقت هذه الموالد والاحتفالات لتحقيق هدفين؛ الأول: إشباع المصريين إشباعًا دينيًّا بالموالد والاحتفالات وتقوية الحركة الصوفية، والثاني: إبعاد المواطنين عن التفكير في محاسبة الحكام.

ويوافق على هذا الرأي الأستاذ جمال بدوي في كتابه «الفاطمية دولة التفاريح والتباريح»[٩].

بدع ومنكرات ... وضمة لحاف!

لا تخلو الموالد من البدع والمنكرات والمخالفات الشرعية، ويفرق الدكتور جمال المراكبي بين البدع والمنكرات التي تدخل في باب الشرك وبين التي تدخل في باب البدع، ويرى أن أهم المظاهر الشركية: دعاء صاحب القبر فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، واعتقاد أنه يجيب الحاجات ويكشف الكربات؛ وهذا من الشرك الأكبر الذي ينافي التوحيد، والعكوف على القبور والذبح لها من دون الله والنذر لأصحابها، وقد قال رسول الله ﷺ: **(لعن الله من ذبح لغير الله)**[١٠].

وعن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلًا ببوانة، فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلًا ببوانة، فقال النبي ﷺ: **(هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟)**، قالوا: لا، قال: **(هل كان فيها عيد من أعيادهم؟)** قالوا: لا، قال رسول الله ﷺ: **(أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم)**[١١].

ومفهوم هذا الحديث أنه لو ارتبط الذبح أو النذر بعيد من أعياد الجاهلية المرتبطة بالأوثان والأصنام؛ فإن الذبح والنذر لا يجوز الوفاء بهما في هذه الحالة.

ومن المظاهر البدعية: الحرص على الاجتماع في الموالد ودعوة الناس في أقطار الأرض لشهودها، وشد الرحال إليها وإلى القبور، ومن البدع أيضًا: رفع قبور الموتى، وبناء المساجد عليها، وبناء القباب، وتعيين السدنة، وما يكون في الموالد من اختلاط بين الرجال والنساء، وامتلائها بالملاهي المحرمة، وما يفعله بعض الجهال في بعض البلاد من اللهو واللعب والغناء المحرم، وما يتبع ذلك من السهر في معصية الله والاستهانة بمحارم الله، والتهاون بالصلوات وتضييع السنن الظاهرة والباطنة.

ومن العجب العجاب أن تجد أهل البدع من الروافض ومن المتصوفة يجتمعون على هذه البدع والمنكرات ويعدونها من صميم الدين، ويصفون المنكرين عليهم من أهل السنة والجماعة بأنهم خوارج وغلاة ووهابية، ويزعمون أنهم لا يحبون النبي ﷺ ولا يحبون الصالحين، بل هم أقوام قد سلبهم الله الإيمان بهذا الغلو.

وزعم الشعراني أن الأحياء والأموات يحضرون الاحتفال بمولد سيده عند ضريحه، بل يحضره النبي ﷺ وسائر الأنبياء والأولياء، وأما من ينكر المولد ويمتنع عن حضوره؛ فعن ضياع إيمانه حدث ولا حرج، قال الشعراني: (أخبرني شيخنا الشيخ محمد الشناوي أن شخصًا أنكر حضور مولده فسلب الإيمان، فلم يكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام، فاستعان بسيدي أحمد، فقال: بشرط ألا تعود، فقال: نعم، فرد عليه ثوب إيمانه)[١٢].

وبحسب دراسة الدكتور فاروق أحمد مصطفى؛ فإن الموالد تعمل على تدعيم الاعتقاد في الأولياء وتقوية هذا الاعتقاد؛ فالشعائر المتعلقة بالموالد ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالاعتقاد في أهمية الأولياء والقديسين، والأدوار التي يقومون بها، وتأثيرهم في الحياة اليومية.

وإذا كانت الجماعات الدينية تعتقد اعتقادًا راسخًا بهؤلاء الأولياء، وترتبط بهم بوثاق القرابة الشعائرية، ويعدونهم آباءهم وأجدادهم الروحيين؛ فإن كثيرًا من المريدين والبسطاء يُرجعون أسباب نجاحهم في حياتهم اليومية - من عمل أو دراسة أو تجارة أو إنجاب أطفال أو زواج البنات - إلى قيامهم بتأدية هذه الشعائر، وإلى تأثير هؤلاء الأولياء عليهم.

هذا بالإضافة إلى الاعتقاد في أنهم السبيل إلى التقرب والوصول إلى الله؛ فهم الذين يشفعون لهم عند الخالق، ويسألونه تحقيق دعائهم في الدنيا والآخرة؛ فليس بينهم وبين الله حجاب، بل قد يصل الاعتقاد بهم إلى درجة أكبر من ذلك؛ فيرى بعضهم أنهم هم الذين يحققون الأعمال، ويعينونهم على قضاء حاجاتهم، ورفع الظلم عنهم.

---

(٩) أسامة شحادة، مجلة العصر، في تاريخ المولد وتطوره وغايته.

(١٠) رواه مسلم، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، (٥٢٤٠).

(١١) كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر، (٣٣١٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (٣٣١٣).

(١٢) طبقات الشعراني.

موالد مصر ... بين الجهل والاستغلال

عمرو توفيق

ويصف الدكتور فاروق مشهد سيدة عجوز اقتربت من مقصورة البدوي وأخذت تشكو إليه ما أصابها على يد زوجة ابنها، رغم ما تقدمه لها ولابنها من خير الأعمال التي يعرفها السيد البدوي، وتطلب منه الانتقام من هذه الزوجة.

ومن ذلك أن المهندس محمود المراكبي يحكي ما شاهده من بدع الموالد ومنكراتها خلال صوفيته السابقة فيقول: إن الموالد مناسبة ليذهب الناس ويذكروا الله - كما يدعون - على أنغام الموسيقى والتمايل والتراقص، وهي ظاهرة خطيرة.

وترجع هذه الممارسات المنحرفة إلى الفكرة الصوفية حول ما يسمى «الوجد» وهو خاطر يأتي في القلب يشغل عن الدنيا وما فيها؛ فقال الصوفية: إذا لم يكن عندك وجد فتواجد، على وزن: إذا لم تبكوا فتباكوا، فالتمايل عند الذكر هو محاولة للوصول إلى الوجد المزعوم، وهو مثل حفلات الزار، ومثل الموسيقى العنيفة التي يستمع إليها «عبدة الشيطان» لتفريغ الطاقة في حركات عنيفة، فهي الفكرة ذاتها للذكر المزعوم عند الصوفية، وكثيرًا ما نجد أن الذكر المزعوم مختلط بين النساء والرجال؛ فالذكر مختلط، والتمايل مختلط، والرقص مختلط، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويكشف المراكبي عن أحد المنكرات الخطيرة في الموالد فيقول: إن هناك ما تقوم به بعض الطرق الصوفية من اختبار لصدق اتباع أفرادها، ويسمى (ضمة اللحاف) وتعني: الإتيان برجل وامرأة من الطريقة الصوفية نفسها، أي: «مريد ومريدة» فيدخل الرجل والمرأة تحت لحاف واحد حتى الصباح، فإذا لم يحدث بينهما جماع؛ دل ذلك على الإخلاص وصدق الاتباع! هذا فضلًا عن شرب المخدرات، وهو ما رأيته بنفسي في الموالد.

أسباب الانتشار:

١- الاستغلال المادي:

في حوار مع صحيفة (الأخبار) المصرية منذ عامين، قال وزير الأوقاف المصري: (إن حصيلة النذور في الفترة من ١/ ٧/ ٢٠٠٥م إلى ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٦م بلغت ٥٢ مليونًا و٦٧ ألفًا و٥٧٩ جنيهًا)، وقالت صحيفة (المصري اليوم) في ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٦م: (إنه في محافظة البحر الأحمر تنحر الذبائح وتقدم النذور يوم مولد أبي الحسن الشاذلي، وتصل إلى ١٢٠ ألف رأس من الخراف والماعز والإبل)، وبإضافة ما سبق إلى النذور اليومية من الطيور والماشية وحلي النساء، بالإضافة إلى ما ينفقه المصريون خلال الموالد على اللهو والمأكولات؛ تتبين الضخامة المادية لعوائد الأضرحة والموالد.

وهو ما يؤكد عليه المهندس محمود المراكبي؛ حيث يرى أن الفائدة الشخصية معتبرة في استمرار الموالد؛ فجدول أعمال أصحاب الأغاني والموسيقى والألعاب النارية مزدحم بالموالد في أرجاء مصر، كما أن الباعة وأصحاب الفنادق الرخيصة بالقرب من مواقع الموالد تنتعش تجارتهم في تلك المواسم، فضلًا عن المنافع الواسعة للقائمين على الموالد؛ خاصة فيما يتعلق بالنذور والوجاهة والمكانة الاجتماعية والدينية، وكسب الولاء الديني، والاستزادة من الأتباع والمريدين.

وذلك ما أشار إليه الباحث محمد صبري محمد يوسف في دراسته المهمة التي نال بها درجة الماجستير، والتي جاءت بعنوان: "دور المتصوفة في العصر العثماني"، حيث رصد في الفصل الخاص بمصادر القوة الاقتصادية للمتصوفة كيف استفاد كبار المتصوفة من الملمح التجاري للموالد، وكيف أن هذه الموالد مثلت أسواقًا سنوية يجري فيها التعامل التجاري جنبًا إلى جنب مع زيارة المريدين لأصحاب الأضرحة.

٢- الجهل والعاطفة:

يرى الدكتور محمود زكي جابر أستاذ علم الاجتماع في جامعة حلوان أن الأضرحة والموالد ليست فقط مجرد مظاهر أو رموز، بل هي أعمق من ذلك لأنها تمس عقيدة أغلب المصريين؛ فارتباطهم بها ليس وليد اليوم، بل هو شيء متوارث في داخلهم ونشئوا على تقديسه واحترامه، وقد أكدت العديد من الدراسات التي أجريت حول هذا الموضوع أنه كلما قل المستوى التعليمي أو انعدم؛ كلما زاد ارتباط الناس بهذه الأضرحة والموالد.

كذلك كان لبعض الطرق الصوفية دورها الكبير في تدعيم هذه المعتقدات وخصوصًا في الريف، بل الغريب أن الناس في بعض القرى تمنح الولاية لأبناء الصالحين وأحفادهم، بغض النظر عن مسلك هؤلاء الأبناء والأحفاد، وبعد وفاتهم يبنون لهم الأضرحة، وينسجون حولهم الروايات والكرامات.

ويشير المهندس محمود المراكبي إلى أن العاطفة الشعبية المصاحبة للجهل من أهم أسباب استمرار الموالد، والعاطفة عندما توجَّه في غير الصراط المستقيم تؤدي إلى الشرك، والمثال واضح في أصنام قوم نوح عليه السلام؛ فالأمر بدأ بحب الصالحين ومحاولة تكريمهم بصناعة تماثيل لهم، لكنه تحول مع تتابع الأجيال إلى الشرك الصريح وعبادة هذه التماثيل، والقصة تتكرر دائمًا؛ فالنبي يموت ويترك قومه على الإيمان، لكن مع تتابع الأجيال يبدأ الشرك حول قبر النبي ثم قبور الصالحين؛ فالأضرحة والموالد هي بؤرة الفساد التي يظهر منها الشرك.

٣- أسباب متنوعة:

يرى الدكتور جمال المراكبي أن أهم أسباب انتشار الموالد؛ كثرة الطرق الصوفية التي تعد بالآلاف، وحرص كل طريقة

موالد مصر ... بين الجهل والاستغلال

عمرو توفيق

على أن يكون لها اجتماعاتها واحتفالاتها، والمد الشيعي والحسينيات المنتشرة في بقاع الأرض، والدعم الذي يقدم لهؤلاء وأولئك؛ بداية من الاستعمار وانتهاء بالأنظمة التي ترى في تأييد أرباب الموالد والطرق دعمًا لاستقرارها، وانتشار الجهل في القرى والريف، وهو ما يُسهِّل التأثير على عوام المسلمين وأكل أموالهم، وأخيرًا: يرى بعض الناس في الموالد موسمًا تجاريًّا يروجون فيه بضائعهم، ويروحون فيه عن أنفسهم بالمشاركة في الملاهي والمغاني، وحفلات الغناء والرقص التي تشهدها الموالد عادة.

ومن جهة أخرى، يرى الشيخ أبو إسلام أحمد عبدالله - مدير مركز التنوير الإسلامي لبحوث المذاهب الوضعية، ورئيس قناة الأمة الفضائية - أن أهم أسباب انتشار الممارسات الصوفية - وعلى رأسها الموالد - وجود مساحة في الصوفية تلبي الحاجات الروحية لشرائح من المسلمين، خاصة فيما يتعلق بالحب والتعلق بالنبي ﷺ؛ فالصوفية تستغل حب المصريين للنبي ﷺ لتجييش الجماهير، وهو للأسف الشديد من الأبواب التي نقصر فيها ولا تأخذ حقها ومكانتها؛ فلو تتبعنا دروس معظم الدعاة والعلماء ومحاضراتهم؛ فإننا لن نجد القدر الكافي من الحديث عن المحبة القلبية للنبي ﷺ، كما أن الصوفية تلبي الحاجات الجسدية، حيث تضيق بشدة دائرة الحرام وتتسع دائرة المباحات غير الشرعية، فالجماهير تتجه لا شعوريًّا نحو عدم التقييد، بالإضافة إلى الدعم الدولي.

مخاطر الموالد:

١. نشر السلبية ... وتحريف المقاصد:

يرى المهندس محمود المراكبي أن الموالد هي خطط مدبرة لإشغال الناس بدون فائدة؛ فتصبح الجماهير مغيبة، ويجري توجيه المسلمين إلى عدم الاهتمام بالشأن العام، وعدم الإحساس بمشاكل المجتمع، ومحاولة النهوض به.

إنها فكرة تدعونا إلى أن نجلس بجانب الأضرحة وننتظر المدد والغوث من سيدي فلان؛ فهي فكرة سلبية تمامًا وتسلب الإرادة من المجتمع، كما تكمن الخطورة في تفريغ العاطفة الدينية في هذا العبث، فيشعر الإنسان بعد زيارة الأضرحة وحضور الموالد أنه أدى شيئًا كثيرًا تجاه الدين.

إن العاطفة الدينية الجياشة التي يمكن استثمارها في تفجير طاقات المجتمع والنهوض بالأمة فيربح المسلم الدنيا والآخرة، تُفرَّغ - للأسف الشديد - في عبث الموالد؛ فيخسر المسلم دنياه، ويقع في بدع وأعمال شركية تهدد آخرته.

كما يرى المراكبي أن الموالد حرفت المقصد الأصيل لزيارة القبور، ألا وهو التفكر وتذكر الموت وأخذ العبرة والعظة والدعاء للميت بالرحمة والمغفرة، فالقبور المزخرفة والمضاءة والمغطاة بأفخر الأقمشة، وما يصاحبها من موالد للتكريم والتفخيم؛ تحرف مقصد الزيارة من تذكر الآخرة، وتحرفها من الدعاء للميت إلى طلب المدد والغوث واتخاذه واسطة بين الإنسان وبين الله تبارك وتعالى، وهذا من مظاهر الشرك.

ويضيف المراكبي: لو كان علي بن أبي طالب حيًّا لهدم الأضرحة بنفسه، فالنبي ﷺ بعث عليًّا لهدم الأصنام والقبور البارزة، فكأنه استشراف للمستقبل من قِبل النبي ﷺ لما سيئول إليه الوضع حول القبور والأضرحة، وأن من يقومون على هذه البدع والخرافات سينتسبون زورًا وبهتانًا إلى علي رضي الله عنه.

٢. مطية للاحتلال:

ذكر الجبرتي أن نابليون أمر شيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر بإقامة الاحتفال بالمولد وأعطاه ثلاثمائة ريال فرنسي، وأمره بتعليق الزينات، بل حضر الحفل بنفسه من أوله إلى آخره، ويعلق عبدالرحمن الرافعي قائلًا: فنابليون قد استعمل سياسة الحفلات ليجذب إليه قلوب المصريين من جهة، وليعلن عن نفسه في العالم الإسلامي بأنه صديق الإسلام والمسلمين.

ويعلل الجبرتي اهتمام الفرنسيين بالاحتفال بالموالد عمومًا، لما رأوه في هذه الموالد من الخروج عن الشرائع، واجتماع النساء، واتباع الشهوات، والرقص وفعل المحرمات.

وتكرر الأمر في الجزائر، حيث ذكر المؤرخ الفرنسي «إميل دارمنغهم» أنه خلال الاحتلال الفرنسي كان يزور ضريح الولي سيدي عابد نحو ١٠٠ ألف زائر سنويًّا ويجري الاحتفال تحت حراسة الأمن الفرنسي، كما كان يوفر الاحتلال الفرنسي الأمن والسلامة لزوار الأضرحة، ويمنحهم خصمًا على تذاكر القطارات يصل إلى النصف.

في الوقت ذاته قام الاحتلال بغلق مؤسسات جمعية علماء المسلمين ومدارسها، والتضييق على علمائها ومطاردتهم بسبب رفضهم للاحتلال، ومحاولة إيقاظ الأمة ونشر الوعي والثقافة الشرعية[١٣].

لم تغب هذه الأساليب الخبيثة عن وعي الاحتلال الجديد؛ فقد نشرت مجلة «يو إس نيوز آند وورلد ريبورت» الأمريكية عام ٢٠٠٥م تقريرًا بعنوان: «عقول وقلوب ودولارات»، يقول: (يعتقد الاستراتيجيون الأمريكيون بشكل متزايد أن الحركة الصوفية بأفرعها العالمية قد تكون واحدًا من أفضل الأسلحة، وبينما لا يستطيع الرسميون الأمريكيون أن يقروا الصوفية علنًا؛ بسبب فصل الدين عن الدولة في الدستور الأمريكي؛ فإنهم يدفعون علنًا باتجاه تعزيز العلاقة مع الحركة الصوفية.

(١٣) مجلة الصوفية، زقاوة أحمد، قصة الصراع بين التدين الخرافي والإسلام النقي.

موالد مصر ... بين الجهل والاستغلال

عمرو توفيق

ومن بين البنود المقترحة هنا: استخدام المعونة الأمريكية لترميم المزارات الصوفية في الخارج، والحفاظ على مخطوطاتها الكلاسيكية التي تعود إلى القرون الوسطى وترجمتها، ودفع الحكومات لتشجيع نهضة صوفية في بلادها).

كما نشرت مؤسسة «راند» الشهيرة منذ أكثر من سنتين وثيقة عنوانها (الإسلام المدني الديمقراطي ... من يشارك فيه؟ وما هي مصادره وإستراتيجياته؟)، ومن بين توصيات الدراسة: توجيه قدر أكبر من الانتباه إلى الإسلام الصوفي، وذلك من خلال تشجيع شعبية الصوفية وقبولها، عبر تشجيع البلدان ذات التقاليد الصوفية القوية على التركيز على ذلك الجانب من تاريخها، وعلى إدخاله ضمن مناهجها المدرسية، وتبعًا لذلك أوصت لجنة الكونجرس الخاصة بالحريات الدينية بضرورة قيام الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية، وهو الأمر الذي سيحظى بأكثر من استجابة من قِبل حكومات هذه الدول، وهو ما سيتضح من خلال أكثر من مؤشر دال في هذا السياق)[١٤].

ومما ورد في تقرير «راند» عن الطرق الصوفية: (يعظمون قبور القديسين ويؤدون عندها الصلوات، ويؤمنون بالأرواح والمعجزات ويستخدمون التعاويذ، ومجموعة الاعتقادات، هذه أزالت تمامًا التعصب الوهابي، وأصبح كثير منهم لا يرون تضاربًا بين معتقداتهم الدينية وولائهم لدولهم العلمانية وقوانينها)[١٥].

يعلل الشيخ أبو إسلام الدعم الدولي للصوفية والانشغال بالموالد، بأن في ذلك تحييد شريحة كبيرة من المجتمع، وإخراجهم من مواجهة مشاريع الهيمنة الخارجية على أمتنا، ولا يتوقف الأمر عند ذلك، بل إن فئات من هذه الشريحة المحيدة تصبح من أعداء مشروع الصحوة والنهضة الإسلامية، ومن ثَم يخسر المشروع الإسلامي فئة من جمهوره، ويتكون له أعداء جدد، ثم يهدر جزء من الدعوة باتجاه الشريحة المحيدة والأعداء الجدد، ويشغل الدعاة بهم عن مواجهة الخطر الخارجي، وهو عين ما يريده أعداء الإسلام.

في هذا السياق يقول الدكتور كمال حبيب ـ الباحث المتخصص في شئون الحركات الإسلامية ـ: يشجع الغرب وأمريكا على وجه الخصوص الموالد والطرق الصوفية؛ لأنهم يرون الدين بهذه الطريقة، وهو نوع مما يطلقون عليه «الدين المدني» ذا الطابع الاحتفالي فارغ المضمون، الذي لا يعبر بداخله عن جوهر حقيقي.

فهناك ما يمكن أن نصفه تفضيلًا أو ميلًا غربيًّا لرؤية الدين بهذه الطريقة، ويريدون أن يكون الدين كذلك في كل العالم خاصة في العالم الإسلامي، وقد كان المستعمرون القدامى يشجعون الموالد والطرق الصوفية، وأقام الإنجليز العديد من مقابر المشايخ المزيفة على طرق تجارية، أرادوا إحياءها في مصر والهند وغيرهما، وأقاموا كذلك حولها الموالد المزيفة.

ويضيف الدكتور كمال: "إن الغرب حين رأى أن الإسلام بصيغته المقاومة للغرب، والرافضة لتدخله في شئون المسلمين وإدارة حياتهم ومجتمعاتهم، ونظم تفكيرهم وخياراتهم التي عرفتها الأدبيات المختلفة بحركات التجديد والإحياء الإسلامي، حين رآها الغرب تحمل مشروعًا للنهضة مستمدًا من دينها وهويتها وضد العولمة الفكرية وفرض نمط الحياة الغربية؛ فإنه انزعج وأسس مراكز للأبحاث والدراسات انتهت في بعض توصياتها بضرورة تشجيع التيارات الإسلامية ذات الطابع العدمي والصوفي، الذي لا يرى أن الغرب عدو، بل يراه ـ ربما ـ إشارة للخير؛ لأنه يدعم الصوفية ويفتح لها الأبواب.

كما أن الصوفية نوع من التماهي مع مفهوم العلمانية الغربي الذي هو نوع من الحلول، الذي يختلط فيه اللاهوت بالناسوت دون تمييز بين الحق والخلق، أو تمييز بين الإسلام والمسيحية في صيغتها الغربية.

ويرى أن هناك نوعًا من الإسلام يمكن أن نصفه "بالإسلام الأمريكي" أو "الإسلام الحداثي"، الذي يفرط بالقواعد الكلية والأصول الراسخة للعقيدة، وخاصة "الولاء والبراء"، وهذا النوع من الإسلام ذو طابع صوفي، لا يُميز بين الإسلام والنصرانية.

وكثير من الجهد الأمريكي ـ على وجه الخصوص ـ انصرف لتشجيع هذا النوع من الإسلام المفارق للإسلام الحق؛ لكي يواجه به الحق وأهله، ومن ثَم فالتشجيع الغربي للصوفية هو نوع من موازنة التيارات الإسلامية الإحيائية والاصطفاف الصوفي في مواجهتها.

في السياق ذاته يقول المهندس محمود المراكبي: لقد كشف السفير الأمريكي السابق لدى القاهرة «ريتشار دوني» بشكل سافر، عن الخطط الأمريكية في دعم التيار الصوفي في المجتمع الإسلامي، فزيارته لمولد البدوي واختلاطه بالدراويش أظهرا النموذج الإسلامي الذي تريده أمريكا مثالًا يحتذى به؛ فهي تريد المسلم الدرويش الذي لا شأن له بالشأن العام، والذي يعتكف عند الأموات يطلب المدد والعون منهم، ويفرغ طاقته في الموالد والاحتفالات، ولا يعنيه احتلال أفغانستان أو العراق أو المسجد الأقصى ... فأمريكا تدعم التيار السلبي في المجتمع، الذي لا تعنيه قضية الجهاد، ونصرة الحق، ومواجهة مشاريع الهيمنة الغربية، وإصلاح المجتمع المسلم والنهوض به.

(١٤) عباس بوغالم، إسلام أون لاين، «صوفية المغرب ... رعاية رسمية ودعم أمريكي».
(١٥) عبد الحق بوقلقول، مجلة الصوفية، «التدين الخرافي تحت الرعاية السامية».

موالد مصر ... بين الجهل والاستغلال

عمرو توفيق

قنطرة للشيعة:

الخميني: (مصر سنية المذهب، شيعية الهوى):

منذ مدة وجهت عناصر شيعية في أمريكا دعوة لنحو ١٢ شيخًا من مشايخ الطرق الصوفية في مصر لحضور مؤتمر عن التصوف عقد في ولاية كاليفورنيا، وجاءت الدعوة من قِبل «علي كيانفر» رئيس الاتحاد العالمي للتصوف.

وعلق الدكتور محمد أبو هاشم عميد كلية أصول الدين في الزقازيق، بقوله: (إن هذا المؤتمر شيعي، والهدف من دعوة بعض مشايخ الطرق إلى المؤتمر هو محاولة تجنيدهم لدخول التشيع إلى مصر؛ لأن المنظمين للمؤتمر من الشيعة).

وكان الدكتور يوسف القرضاوي قد حذر في العام الماضي من المحاولات الشيعية لاختراق مصر، وقال: (إن الشيعة أخذوا من التصوف قنطرة للتشيع، وإنهم اخترقوا مصر في السنوات الأخيرة من هذا الجانب)، يروي المهندس جمال المراكبي قصته مع أحد الشيعة خلال زيارته إلى مصر، حيث طلب أن يزور بعض الأضرحة، وبعد الزيارة قال: (هل تظنون أن مصر أهل سنة؟ أنا لم أر داخل الأضرحة غير شيعة).

فهو يقصد أنه لا فرق بين الممارسات الشيعية وبين ما يتم داخل الأضرحة، مثل: السجود عند العتبات وتقبيلها، لذلك فأمل الشيعة في مصر كبير بأن تعود دولة شيعية مرة أخرى؛ فيلعن أبو بكر وعمر على منابر الأزهر جهارًا.

ويشير المراكبي إلى أن الشيعة يستغلون حب المصريين لأهل البيت ﷺ في نشر مذهبهم بطريقة خبيثة، وهي تشجيع حب أهل البيت ودعمه وإقامة الموالد، وفي الوقت نفسه نشر الشبهات حول الصحابة وإثارة القضايا الشائكة، ونشر الأحاديث والقصص الموضوعة، خاصة في ظل انتشار الأمية الدينية؛ وبذلك تختل كفتا الميزان عند المصريين الذين يحبون الصحابة كما يحبون أهل البيت ﷺ جميعًا؛ فهم يستغلون الحب والجهل في الوقت نفسه، كما يستغلون قضية الإمام لدى الشيعة والقطب لدى الصوفية، ولابد أن يكون القطب أو الإمام من أهل البيت، وهذا من أهم مداخلهم.

وعلى الجانب الآخر، يرى الدكتور كمال حبيب أنه ليس استغلالًا في الواقع، وإنما هو جزء من منظومة التشيع التي تعبر عن تدين بلا دين، والمقصود بذلك أن من يقومون بأعمال الشرك المنافية للتوحيد من الشيعة والمتصوفة يفعلون ذلك تدينًا، ولكن الدين أو المرجع الذي يرجعون إليه هو في الواقع مذهب وضعه على مدار القرون رجال استنادًا إلى أساطير وأوهام لم يشرعها رب العالمين.

ويضيف قائلًا: فالتشيع والصوفية وجهان لحقيقة واحدة؛ وهي الارتكاس في وحل الوثنية، وعبادة الأشخاص، والولع بالقبور العظيمة، والطواف حول المقبورين بها، الصوفية هي نوع من الممارسات الأقرب إلى الأساطير والخرافة وكذلك التشيع، وبالطبع مدخل حب آل البيت هو المدخل الذي يدخل به الشيعة على المتصوفة، ومن ثَم يصبح المتصوف على شفا جرف هار من بوابة التشيع.

بيد أن التوحيد والإسلام الإحيائي المقاوم ينتشر ويتجذر في نفوس عامة المسلمين في مصر والعالم العربي والإسلامي كله؛ لأنه دين الفطرة والعقل، ودين التوحيد والفقه والشريعة والإنسان.

طرائق وأساليب المواجهة:

يتعجب بعضهم من استمرار الإقبال على الموالد على الرغم من انتشار العلم الشرعي، خاصة بعد ظهور العديد من الفضائيات الإسلامية، وما لاقته من ترحيب واسع بين شرائح المجتمع المصري، وحول تأثير الفضائيات الإسلامية يقول الشيخ أبو إسلام أحمد عبدالله: على الرغم من انتشار القنوات الفضائية الإسلامية إلا أن تأثيرها ما يزال محدودًا؛ لأنها تخاطب المتدينين، فلم تصل الفضائيات الإسلامية إلى الشريحة الأوسع من المجتمع، وهي الأكثر تأثرًا بالممارسات الصوفية وعلى رأسها الموالد.

ولا ننسى أن الفضائيات الإسلامية ما زالت في بداية الطريق، ولم تكمل أعوامًا قليلة جدًّا، وإمكانيتها ضعيفة، والممارسات الصوفية مثل الموالد أصبحت عادات راسخة في المجتمع منذ قرون عديدة، لا يمكن هدمها في لحظة واحدة؛ خاصة مع ضعف القدرات والإمكانيات.

ولمواجهة هذه الممارسات وغيرها خاصة الاستغلال الشيعي؛ يرى الشيخ أبو إسلام أنه لابد من الانتباه إلى افتراءات الشيعة على أهل السنة والجماعة، حيث يثيرون نحو ألف فرية على أهل السنة، فلو تخصصت فئات من العلماء والدعاة لكل فرية ودحضها، لكن دون الإشارة إلى الشيعة وإلى أنها شبهة؛ لأن كلمة (شبهة) تترك أثرًا سيئًا في القلب.

ولابد أن يجتمع العلماء والدعاة لترشيد الدعوة وتحديد أولوياتها في الوقت الراهن، ووضع أجندة يمكن الاتفاق عليها والعمل من خلالها، ومن أهم نقاط هذه الأجندة: الاهتمام بالقضايا الحياتية للمسلمين؛ مثل: الغلاء والاحتكار، والأزمات الاقتصادية والاجتماعية، والتعريف بالتاريخ الإسلامي الصحيح، واستخلاص العبر والدروس وربطها بالواقع المعاصر، والتعرف على الثغرات التي يدخل منها أعداء الإسلام، وتخصيص شرائح من العلماء والدعاة للوقوف على كل ثغر، ويعد الإعلام من أهم هذه الثغرات؛ فأرى أن نخصص له نحو ١٠٪ من العلماء والدعاة.

موالد مصر ... بين الجهل والاستغلال

عمرو توفيق

ويرى فضيلة الشيخ علي حشيش أنه لمواجهة انتشار هذه المظاهر والانحرافات؛ لابد من تعريف الناس بتوحيد الإلهية وتوحيد الأسماء والصفات، وبيان كذب أصحاب الموالد في الحلولية والاتحادية، وأن من ذبح لغير الله فهو ملعون، وأن الذين يذبح لهم سواء أكانوا أحياء أو أمواتًا فهم عباد مثلنا، وتربية النشء على التوحيد، وأنه لا يسأل إلا الله، قال ﷺ: (**يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ...**)[١٦].

كما يطالب فضيلة الشيخ بإقامة قوافل وأسابيع علمية وثقافية في مدن مصر وقراها لنشر منهج أهل السنة خاصة في توقيت هذه الموالد، وهو ما يكون له الأثر في إيقاف العديد منها، وابتعاد كثير من الناس عنها.

ويطالب المهندس محمود المراكبي بعدم إرسال مندوب من الأزهر لحضور الموالد، وعلى الأزهر أن يقوم بتوعية الجماهير ببدعية هذه الاحتفالات، وأنها ليست من مظاهر الإسلام، وأن هذه الممارسات تسيء إلى صورة المسلمين، وتشوه نقاء العقيدة الإسلامية؛ خاصة أن علماء الأزهر الكبار أفتوا بحرمة إقامة القبور والأضرحة في المساجد وإقامة الموالد حولها.

ولمواجهة هذا الخطر، يقول فضيلة الشيخ محمد عبدالمنعم البري رئيس جبهة علماء الأزهر: "لابد من مواجهة هذا الخطر بهمة عالية ونشاط كبير، والقيام بقوافل دعوية، والسماح لهذه القوافل بأن تطوف أرجاء البلاد".

ولقد كنا نقوم بذلك انطلاقًا من كلية الدعوة الإسلامية في الأزهر، لكن الباب أغلق، فنحن بحاجة إلى دعم وتقوية وثقة ويقين واسترداد الثقة بالعلماء والدعاة؛ خاصة أن الشيعة يستغلون الجهل والفقر في نشر مذهبهم المنحرف الذي يؤدي إلى ترسيخ المظاهر الشركية؛ من التمسح بالعتبات والاستغاثة بالأموات، خاصة مع انتشار الجهل بين عامة الناس بسبب التضييق على العلماء والدعاة.

لذلك؛ يرى رئيس جبهة علماء الأزهر أن المسئولية تقع بالأساس على المسئولين؛ لأننا بدون فتح الأبواب والنوافذ لن نستطيع التحرك، ثم يأتي دور العلماء والدعاة بعد ذلك في نشر العقيدة الصحيحة، والنزول إلى واقع الجماهير وتصحيح المفاهيم.

ويبقى الأمل:

في إطار الإعداد لهذا المقال قمنا بزيارة مسجد الحسين لمشاهدة ما يحدث في المولد النبوي المزعوم، حيث تقام هناك ما تسمى (زفة المولد)، التي تبدأ منذ الصباح بتجمع كل الطرق الصوفية عند مسجد «صالح الجعفري» بالقرب من الحسين، ثم تبدأ المسيرة بعد العصر باتجاه مسجد الحسين، حيث تغلق الشوارع ويتقدم مشايخ كل طريقة، ومن ورائهم الأتباع حاملين الرايات والشعارات، مرددين الأناشيد والأوراد الخاصة بهم.

وتنتهي المسيرة أمام المسجد قرب صلاة المغرب، حيث يدخل الجميع إلى باحة المسجد، بينما يغلق ضريح الحسين بسبب الزحام الشديد، ثم تبدأ الاحتفالات الرسمية بعد صلاة المغرب، والتي تنقلها الإذاعة والتلفاز، ويتحدث فيها شيخ مشايخ الطرق الصوفية ومندوب عن الأزهر، ويحضرها مندوب عن الحكومة.

وبعد صلاة العشاء تبدأ الاحتفالات الصوفية بجوار المسجد، حيث تقيم كل طريقة خيمة، تمارس داخلها طقوسها الخاصة.

ولعلنا نكتفي بما ذكره العلماء من بدع ومنكرات الموالد حتى لا نطيل أكثر من ذلك، لكن من المهم الإشارة إلى أهم ما لاحظناه، وهو أن الغالبية الساحقة من أتباع الطرق الصوفية هم من كبار السن ومن جهلاء العامة، حيث لاحظنا ندرة الشباب خلال مسيرة (زفة المولد)، أو داخل المسجد، أو الاحتفالات خارجه.

إن ذلك يشي بأن الصحوة المباركة بجهود العلماء والدعاة قد آتت أكلها بفضل ربها تبارك وتعالى؛ فالجيل الجديد لم يعد يلتفت إلى هذه الخزعبلات، وانتشرت - بفضل الله - حقيقة الموالد بين كثير من شرائح المجتمع المصري، لكن ما زالت هناك كثير من الجهود المطلوبة والحركة المستمرة الدءوبة لإزالة بقايا ركام الجاهلية، وسد الثغرة أمام أطماع الاحتلال وأحقاد الشيعة، وما يزال أمام العلماء والدعاة عمل شاق لتنقية المجتمع من العقائد والأفكار المشوهة؛ لتعود شريعة المسلمين كما بدأت: سمحة بيضاء نقية.

---

(١٦) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب منه، (٢٧٠٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٢٥١٦).

٦ آلاف ضريح ومقام لأولياء الله الصالحين، تنتشر في ربوع وأنحاء مصر المختلفة،

كتب حسين البربري (المصريون): بتاريخ ١٢ - ١ - ٢٠٠٩م

قدر المهندس إبراهيم مرزوق المسئول بالمجلس الأعلى للآثار، وأحد المشرفين على تنفيذ مشروع تطوير القاهرة الفاطمية، أن هناك ٦ آلاف ضريح ومقام لأولياء الله الصالحين، تنتشر في ربوع وأنحاء مصر المختلفة، قال: إن بعضها خاص بأشخاص مجهولين، وبينها أضرحة لا تضم رفاة أموات.

وأضاف في تصريح لـ«المصريون»، أن «تلا» تأتي في الصدارة من حيث عدد الأضرحة حيث تضم ١٣٣ ضريحًا، تليها دسوق بـ ٨٤ ضريحًا، ثم مركز فوه ٨١ ضريحًا، وطلخا ٥٤ ضريحًا، وهي تتوزع في تبعيتها على المجلس الأعلى للتصوف والأوقاف، ويوجد بينها ١٥٣ ضريحًا مسجل كأثر.

وأشار إلى أن الفاطميين هم أول من تفننوا في إشغال العامة بزيارة الأضرحة والتبرك بها، وأول من وجهوا المصريين لتلك العادات، وأغلب الأضرحة تقريبًا هي أضرحة رؤية؛ فهناك أشخاص يعرف عنهم أنهم صالحون ويشتهرون بحسن السيرة والتدين، يأتي أحدهم فيخبر الناس أنه رأى أحد أهل البيت رضوان الله عليهم في ذلك المكان، وبناء عليه يقومون ببناء ضريح في المكان المشار إليه.

وأوضح أن تلك العادة لم تقتصر على الفاطميين؛ ففي عصر الدولة الأيوبية، أراد الأيوبيون الذين حكموا مصر أن يصارعوا الشيعة أو الفاطميين بنفس أسلوبهم، فبدأوا في تشييد قباب الشيوخ وأولياء أهل السنة، وكان على رأسهم الإمام الشافعي، حيث جاء السلطان الكامل وأقام فيه قبة كبيرة، وجاء لها بالخشب من الهند تقديرًا للإمام.

وذكر أن الأضرحة التي تحمل أسماء مجهولة والمسجلة في الآثار هي اختراع فاطمي، فمثلا قباب السبع بنات في عين الصيرة، أو ما يسمى ضريح السبع بنات، بني في العهد الفاطمي، وقبة "وفي الدين" في السيدة نفيسة وكذا قبتا السيدة عاتكة والجعفري، وضريح القاسم أبو الطيب في السيدة نفيسة، وضريح يحي الشبيهي، ومكتوب في هذا الضريح أنه مسمى كذلك لأنه كان شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وضريح الحصواتي، وضريح الدكروري، وقبة الموازني، في الإمام الشافعي وليس معروفًا من صاحبها.

وهناك مشهد آل طباطبا في عين الصيرة، وبقايا مشهد كلثم في جامع الليثي، ومشهد أخوة يوسف الأسباط، ومشهد السيدة رقية، وكذلك الجبانية الفاطمية الموجودة بأسوان، وتضم العديد من الأضرحة منها ضريح الحسن والحسين، والسيدة زينب، والإمام الشافعي، وجميعها أضرحة تذكارية.

وقال: إن مسجد الرفاعي يعد أشهر المساجد التاريخية في القاهرة، فقد استغل الخديوي إسماعيل وجود ضريح سيدي "أبو الشباك"، وقد اشتهر صاحبه بهذا الاسم؛ لأنه كان يجلس على شباك سيدي أحمد الرفاعي أحد أئمة التصوف، وتم دفنه بعد وفاته في مقبرة صغيرة أمام جامع السلطان حسن، وعندها جاءت خوشيار هانم والدة الخديوي إسماعيل وهي تركية الأصل، وأعدت مدفنًا لها بجوار «أبي الشباك» تيمنًا ببركاته، وقد ضم هذا المدفن جثامين الملك فاروق والسلطان حسين كامل، وشاه إيران.

في مئوية الطريقة العلاوية

السبت ٣١ يناير ٢٠٠٩ GMT ١٨:٣٠:٠٠

كامل الشيرازي

٣٦ دولة تشارك في ملتقى دولي تموز المقبل

كامل الشيرازي من الجزائر: رافعت الجزائر اليوم، لحماية التراث الصوفي في مئوية الطريقة العلاوية، وقال مسئولون هناك أن الحفاظ على الموروث المذكور يجد مبررًا له في كون هذا التراث "شاهد حي" على عراقة التاريخ الجزائري.

وأكدت وزيرة الثقافة الجزائرية "خليدة تومي"، لدى افتتاحها فعاليات الاحتفال بمئوية الطريقة الصوفية العلاوية التي نظمت هذه السنة تحت شعار "زرع الأمل"، أن التراث الصوفي لا يزال قائمًا في الجزائر، خاصة والمنطقة المغاربية عمومًا، ولاحظ وزير الأوقاف الجزائري "بوعبد الله غلام الله" أن الطرق الصوفية أصبحت مدرسة في التربية الروحية للمجتمع الجزائري، ومن واجب الدولة التعريف بهذا الكنز وبإمكاناته اللامتناهية في تربية وتكوين الناشئة، وشدد المسئول ذاته أيضًا على أهمية تعزيز القيم الروحية التي تحملها الطريقة العلاوية، بما يضمن المحافظة عليها ونقلها من جيل إلى آخر باعتبارها السلاح الذي يُمكّن من مواجهة أسباب تدمير المجتمعات التي تحملها العولمة.

وأضاف قائلًا: "يجب بذل المزيد من الجهود لضمان أن تكون هذه الطريقة نبراسًا لنشر العلم والمعرفة ومنارة لبث روح التسامح".

من جانبه، أعطى "نصر الدين موهوب" الناطق باسم جمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية، نبذة عن حياة شيخ الطريقة العلاوية "سيدي أحمد بن مصطفى بن عليوة"، الذي خلف الشيخ البوزيدي على رأس هذه الطريقة سنة ١٩٠٩م، وذكر موهوب أنه كان عاملًا وإمامًا مجتهدًا، وعاش طول حياته في سبيل خدمة ونشر الإسلام وتدريس تعاليمه الصحيحة في الجزائر وخارجها، مضيفًا أن الشيخ خلف آثارًا كثيرة، وعمل على أن يصبح للطريقة أتباع في العديد من بقاع الأرض، على غرار المغرب وتونس وليبيا وسوريا وفلسطين.

بدوره، أشار "حميد دمو" رئيس الجمعية العالمية للصوفية العلاوية، أن احتفالية الذكرى المئوية هي تعبير عن الارتباط بقيم روحية وعالمية تدعو إلى السلام والأخوة، ولطالما عملت على نشر هذه الطريقة منذ مائة سنة عبر تعليم صوفي يمتد إلى آلاف السنين، وأكد دمو

في ذات الصدد أن التخلي عن هذه القيم الروحية سيخلف كارثة اجتماعية وأخلاقية لا مثيل لها، خاصة في ظل عولمة متسارعة تأخذ في طريقها كل ما تجده.

واشتركت في تنظيم هذه الفعاليات المخلدة للذكرى المئوية لتأسيس الطريقة العلاوية كل من جمعية الشيخ العلوي للتربية والثقافة الصوفية، وجمعية الشيخ العلوي لإحياء التراث الصوفي، والمؤسسة العالمية للصوفية العلاوية، والمركز المتوسطي للتنمية المستدامة "جنة المعارف".

وفي سياق متصل، علمت "إيلاف" أن الجزائر ستنظم ملتقى دوليًا تخليدًا للذكرى المئوية للطريقة الصوفية العلوية، وذلك من ٢٥ إلى ٣١ تموز/ يوليو المقبل بمدينة مستغانم (٤٠٠ كلم غرب العاصمة)، ويُرتقب أن يشهد الموعد مشاركة وفود عن ٣٦ دولة، في إطار إحياء الذكرى المئوية للطريقة الصوفية العلوية.

وأوضح نصر الدين موهوب الناطق باسم جمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية، أن عديد المختصين في مختلف المجالات بينهم رجال دين وعلماء، سيشاركون في هذا اللقاء، وسيتطرق هذا الملتقى الذي يتضمن عديد الندوات والعروض، إلى محاور كثيرة؛ منها "الأرض" و"الاتصال" و"العولمة" و"القرآن" و"الروحية والتصوف" و"المستقبل".

بينما علق أتباع الطريقة الصوفية العلوية أنه "أمام التحديات التي تستوقف البشرية تقرح الطريقة الصوفية العلوية مباشرة تفكير عميق، من شأنه أن يفضي إلى مشاريع ملموسة ونشاطات مستدامة".

إلى ذلك، أعلن يوم الجمعة الانطلاقة الفعلية لـ"قافلة الأمل" تزامنًا مع الذكرى المئوية للطريقة الصوفية العلاوية، وكانت نقطة البدء من المقام الشهير "عبد الرحمن الثعالبي" وسط العاصمة الجزائرية، بمشاركة حوالي مائة شخص من المثقفين وأتباع هذه الطريقة، وأعطيت إشارة الانطلاق وسط أجواء روحانية جسدتها تراتيل دينية، أطلقتها المجموعة الصوتية للغناء الصوفي الأمازيغي، ومجموعة "فردة"، وفرقة الموسيقى الأندلسية "أمل"، وتفاعل معها أتباع الطريقة بينهم شيخ الطريقة "خالد بن تونس"، على الرغم من حالته الصحية السيئة.

وستجوب هذه القافلة ٢٦ ولاية وتتوقف بـ٥٠ مدينة، وتحيي بها عديد التظاهرات الثقافية والدينية والاجتماعية للتعريف بهذه الطريقة، وتشجيع ثقافة السلام والمساهمة في نشرها، كما ستطوف "قافلة الأمل" التي تدوم إلى غاية الصيف القادم ثلاثة مناطق كبرى: (الجنوب الغربي والجنوب الشرقي ثم منطقة التل)، لتضع رحالها كآخر محطة يوم ٢٤ يوليو/ تموز المقبل بولاية مستغانم منشأ الطريقة العلاوية.